College of Basic Education Researchers Journal. ISSN: 7452-1992 *Vol. (19), No.(2), (2023)*

CC BY

الألوهيّة والعقائد الخلاصيّة في المعتقدات الدينيّة القديمة

مليكة بوعلي برهومي
المعهد العالي للحضارة الإسلاميّة / جامعة الزيتونة/ تونس
(قدم للنشر في ٢٠٢٣/٤/١٥ قبل للنشر ٢٠٢٣/٥/٣١)

المستخلص

يبدو أنّ محاولة البحث في مسألة الألوهيّة في التّصوّرات الدينيّة القديمة توقفنا على حقيقة تأثير العالم المقدس الذي يزخر بحكايات الآلهة و عوالمها الميثولوجيّة في تشكيل ملامح الوعي الديني ، وإيجاد تفسيرات للبدايات الأولى للخلق و النّهايات الاسكاتولوجيّة للعالم ومن ثمّ خلود الانسان بعد الموت، وهي الفكرة التي تبدو سببا في نشأة الدين عموما .

ولعلّ ذلك ما فتح أمام الوعي الدّيني مساحات تأويليّة كبرى تختزن كيفيّات تمثّل أي جماعة من الجماعات الدّينيّة لحقائق دينهم وعقائدهم الأخرويّة برغم الاختلاف بينها في تصوّر حدود هذا المتعالي. وهو ما برّر اهتمام هذه المعتقدات الدّينيّة القديمة بالممارسات الطّقسيّة الخلاصيّة وان كانت تقوم على تصوّر اسكاتولوجي واحد وهو أنّ هناك خلودا بعد الموت.

ولا شكّ أنّ هذه الممارسات الشعائريّة وان كانت تعبّر عن شكل من أشكال التواصل بين البشر وعالم الآلهة فهي في ذات الحين التعبير الأسمى لغائيّة الوجود الإنساني ان كان باسترضاء الآلهة و تجنّب غضبها أو تحقيقا لسبل الخلاص والنّجاة من عالم الدنيا، وهو اقرار فيما يتنازع الانسان من نوازع الخير والشرّ في علاقة بالخطيئة والخلاص ...وهذه الحقائق نقف عندها سواء تعلّق الأمر بفكرة الانطلاق في البرهميّة أو النرفانا في البوذيّة او قانون الايمان الزرادشتي او قانون الجزاء العادل للموتى عند المصريين فهي كلّها روافد ايمانيّة لهذه العقائد الخلاصيّة ،وان كانت تعبّر عن هذا المجال المقدس فانّها توجه نظر المتديّنين لمشكلات الانسان الواقعيّة وسلوكاته الفرديّة والاجتماعيّة والتي تجد تعبيرها الأسمى في جملة التشريعات الملزمة والنظم الأخلاقيّة الموجهة للتربية السلوكيّة والمواعظ الحكميّة ...

الكلمات المفتاحيّة : الليتورجيا ،النرفانا،اللاسكاتولوجيا ،جلجامش ،ثيوصوفيا

Divinity and salvation doctrines in ancient religious beliefs

Malika Bouali Barhoumi
Higher Institute of Islamic Civilization / Al-Zaytouna University / Tunisia

Summary :

The study of divinity in ancient religious perceptions introduces us to the reality of the impact of the sacred, which is full of stories of gods and mythological worlds, in the formation of the traits of religious consciousness and in the explanation of the beginnings of creation and of the eschatological ends of the world, which makes us close to the question of the immortality of man after death, this idea could be the reason for the existence of religion.

This impact of the sacred has opened to religious consciousness significant interpretation spaces revealing how one of the religious groups represents the truths of their common religion and eschatological beliefs despite the differences between them. This justified the interest of these ancient religious beliefs in the rituals of salvation, even if they were based on the same eschatological conception, namely immortality after death.

There is no doubt that these ritual practices, although they express a form of communication between humans and the world of the gods, are at the same time the supreme expression of the purpose of human existence, be it to appease the Gods and avoid their wrath, or to obtain ways of salvation and deliverance from this world, which is an acknowledgment of what man disputes about the impulses of good and evil connected with the sin and salvation. We find these facts in the idea of Emancipation in the Brahmin religion, the conception of Nirvana in Buddhism, the Zoroastrian Law of Faith, and the law of Just Reward for the dead among the Egyptians. All these conceptions are the foundations of faith for these doctrines of salvation and as an expression of the sacred, it directs the gaze of believers to the real problems of man and his individual and social behaviors, these behaviors find their highest expression in all binding legislation and ethical systems oriented towards behavioral education and the instructions of the wise...

Keywords: Liturgy ،Nirvana ،Laskatology ،Gilgamesh ،Theosophy

ترجع صعوبة الاشتغال بتاريخ الأديان أو مقارنتها إلى أنّ الباحث ومن خلال تتبعه لتراكميّة التجارب والخبرات الدينيّة إنّما يحاول تفكيك البنيات الرمزيّة والأفضية التعبيريّة للعالم المقدّس داخل كلّ دين، والذي يجد امتداداته التفسيريّة في علاقته بعالم البشر. إنّه محاولة لاستعادة المساحات التأويليّة الأكثر حضورا وتأثيرا في صياغة حياة البشر والتي تظهر جليّا فيما يؤمن به المتديّنون من تصوّرات اعتقاديّة وأشكال تعبديّة تحدّد عناصرها النصوص المحمولة على التقديس أو الممارسة الطقسيّة أو الميثيات الأسطوريّة والتي تختزل بالنّهاية الصّور الممكنة لعلاقة أيّ جماعة من الجماعات بما هو " قدسي " أو متعالي بتعبير " أتو رودولف ". إنّ هذا المجال يعد جوهر الدّين وأساسه لا فقط من حيث كونه يمثّل الفائق للطبيعة و المتعالي "و المماز في وجوده لأي وجود انساني، بل على اعتبار ملازمته لمعنى الصّلاح وهو " **الصفة الأخلاقيّة الدّالة على تمام الخير الأخلاقي** "[١] في علاقات التواصل الممكنة بين المتعالي وحياة البشر وما تؤول إليه من نهايات اسكاتولوجية .

هنا تبدو احتمالات التأويل لكيفيّات تمثل المتديّنين لحقائق هذا العالم القدسي على النحو الذي سنكشف بعض معالمه في هذا المقال وخاصّة في أشكال حضور مقولة الألوهيّة في غير الدّيانات السّماويّة التي لا ترتبط بالوحي المباشر للأنبياء. إنّه محاولة للوقوف على ما اختزنه الوعي الديني من أنماط تواصليّة سابقة مع هذا العالم المفارق حوّلته إلى ممارسة واقعيّة تنتظم بها علاقات البشر وفق ما تحدّد لديهم من تشريعات ونظم أخلاقيّة ومواعظ حكميّة بدت ملهمة لهم في سيرهم المقدّسة ولعلّ ذلك ما يدفعنا للبحث عن **حقيقة الألوهيّة في غير الديانات التوحيديّة ؟ و كيفيّات تمثّل العقائد الخلاصيّة فيها ؟**

١،الألوهيّة وطقوس الخلاص في البرهميّة [٢]

تعدّ الديانة الهندوسيّة والبرهميّة من أقدم الدّيانات في الهند، والتي تتميز بخصوصيّتها الحضاريّة في مجال الفكر الدّيني، والفلسفي، وأيضا هي من أكثر الدّيانات تنوّعا في عقائدها. فيها بعض ممّا يتصّل بتقديس مكوّنات النظام الطبيعي (الأرض ،الشّمس ،القمر)، أو ما يحايث المجاز الأسطوري برموز عالمه السّحري وتمثّلاته الطقسيَة، أو ما يتعالى أيضا

---

(١) رودولف (أوتو) : فكرة القدسي ، دار المعارف الحكميّة ،ط١ ، ٢٠١٠ ،ص ٢٧

(٢) **البرهمية:** هي ديانة هندوسيّة قديمة تستند في تعاليمها على الأسفار الآحقة للفيدا(أقدم الأسفار المقدّسة للدّيانة الفيديّة) .استمدّت اسمها من أهميّة الإله براهما بوصفه قوة عليا ومن وضع طبقة الكهنة البراهمة التي تسيطر على المجتمع الهندوسي . تتضمن هذه الدّيانة مجموعة من العقائد الخاصّة ك (السمسارا) وهي الدورة السببيّة الكبرى والعالم الذي تتناسخ فبه أرواح الكائنات الحيّة وأرواح الآلهة ، (الكرما) : وهو الفعل وتبعاته الأخلاقيّة ، و (الدهارما): وهو السنة الكونيّة ،و (الموكشا): وهو الإنعتاق من الدّورة السببيّة ، و(البراهمن): وهو اللاّمتغيّر الأبدي والقاع الكلّي للوجود و، (الأتمان): وهو النفس المتجزّئة أو النفس الكليّة . أنظر الماجدي(خزعل):علم الأديان :تاريخه مكوّناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله ، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث ط١، ٢٠١٦ م، ص ٥٤.

بتجريد فلسفي للاعتقاد بالألوهيّة، اذ سعى الإنسان المتواصل لتحصيل سعادته الأبديَة مع الآلهة في الأرض أو في السّماء. ولعلّ ذلك ما ولّد اضطرابا و " غموضا في الرؤية الميتافيزيقيّة الهنديّة حول الالوهيّة، وخلق فوضى تأليهيّة تباينت مساراتها وتذبذبت نزعاتها بين الإلحاد والغلو في التجريد إلى العدم والمغالاة في التّعدّديّة الوثنيّة "[١]. إلاّ أن السّمة الغالبة على هذه الديانة شأنها شأن الديانات الشرقيّة القديمة بناء مقولة الألوهية على أساس من الصَراع الدَّائم بين طرفي الخير والشّر اللّذان يتنازعان في حضورهما داخل النفس البشرية .و هي ثنائيّة ترتبط في وعي الشرقيين القدامى بأساطير الخلق وتكوين العالم ضمن الثّالوث المقدّس [٢] في التاريخ الديني للشعوب القديمة والذي يسيطر عليه في البرهميّة الإله الأعظم و الموجود الاسمي الخالق " **براهمان** "[٣] المسؤول عن ذلك الصّراع الأبديّ بين قوّتين متضادّتين وهما الإله الحافظ والخيّر" **فشنو** " و الإله المدمّر" **شيفا** " الذي يحمل كلّ الصّفات المتناقضة ضمن هذا الثالوث المقدّس .

إنّ هذا التّصوّر للألوهيّة هو الـــذي وجه الفكر الكهنوتي الهــندي للاعتقاد بفكرة الخير و الشّر اللذان يتنازعان داخل النّفس **آتمان Atmen** [٤] انّه روح العالم أو مبدأ الحياة الذي يدفع الإنسان ليحرص دائما على أن يصل كل أعماله بفعل الخير، ويبتعد عن كل ما يفسد الخلق و السلوك في الحياة الواقعيّة. غير أنّه لا فاصل هنا بين هذا العالم الواقعي ،عالم الزمان و المكان في المعتقدات الهندوسيّة و عالم الموت أو ما بعد الحياة ، و من ثمّة لا يتجاوز المجاز الديني ثنائيّة الخير و الشّر و التي تفترض ثنائية أخرى بمقتضى قانون **الكارما Karma** [٥]

---

(١) عبد المحسن عبد الراضي (محمد): مشكلة التأليه في الفكر الهندي الدّيني ، دار الفيصل الثقافيّة ، ٢٠٠٢، ص١٠ .

(٢) الثالوث الهندي يعد تاسع ثالوث مقدّس في التاريخ الديني القديم ضمن المثلثات المقدّسة للكلدانيين (آنو ،أنليل ،أنا) والبابليين (شمش ، سن ،عشتار) والسّومريين(آبو ، زوجته ، وابنه) واليونانيين(رادامانت ،ايباك ،مينوس) والمصريين القدامي في بلدة أبيدوس (أوزيريس ،ايزيس ،حورس) ومدينة منف(بتاح ،سخمت ،نفرتم) ومدينة طيبة (آمون ،موت ، حتشو) وآلهة الحساب عند المصريين (أنوريس ،معات ، توت)

(٣) **براهمان** :يعني السيد والاله الأزلي إنّه "البراهما" في حالته الشّخصيّة ،أمّا اللفظ "برالمان" فيدل عل المطلق الإلهي وعلى "البررالما" الذي يفوق الحالة الشخصيّة أنظر رودولف (أوتو) :فكرة القدسي ، دار المعارف الحكميّة، ط١ ،٢٠١٠، ص٢٣٣

(٤) **أتمان** : يراد بها الإشارة إلى روح العالم أو مبدأ الحياة أو الرّوح المطلقة أو نفس الكون الفعليّة التي تتخلّل كل شيء .فهو روح الأرواح كلّها والمطلق الذي لا مادّة له ولا صورة . أنظر دورانت(ويل) :قصّة الحضارة، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع ، بيروت ، ج٣،الباب ١٤،، الفصل ٧، ص٤٧

(٥)، **كارما** ، **Karma** : كلمة سنسكريتيّة .. وتعني حرفياً "الفعل والمصير" ، وتعدّ اصطلاحا مهمّا في التراث الديني الهندي اذ تشير إلى مجمل أفعال الشخص في واحد من حالات الوجود المتوالية وهي تقرّر ما سيكون عليه ومعه في الحالة التي تعقب ذلك بعد أن تحدّد بالحالة التي سبقتها.

أو قانون الجزاء والعقاب وفق مبدا الاستحقاق بتعبير لاهوتي و الذي يشير إلى "العلاقة بين ما فعله المرء و ما كانه، و الى التأثير السيّئ لأفعال الإنسان التي تنهض كمبدأ لتقرير المصير" [١] فهل يعني ذلك أنّ النّفس باستطاعتها الانفلات من تبعات أعمالها الدّنيويّة إلى عالم ما بعد الحياة على نحو يفصح بانشغال الإنسان منذ بداية تشكّل التّصوّرات الدّينيّة برسم ملامح العالم الأخروي ؟

إنّ عقيدة الكرما تعد عند الهندوس عقيدة محوريّة تتعلّق بمدار أعمال الإنسان ارتقاءاً وتردّيا في مراتب الوجود، وأساسا لاهوتيّا تنبني عليه كلّ تصوّراتهم الدّينيّة حول وجود الكون والإنسان ومصيره فهي تعدّ "في الهندوسيّة والبوذيّة ميتافيزيقا منبثقة من رؤية ذاتيّة خاصّة بالأفعال توجّه الإنسان نحو تجربة تكرار المولد "[٢] . إذ لا سبيل لخلاص النفس من أفعالها السّيئة وخطاياها إلا بانتقالها في دورات تكرار المولد **السمسارا** [٣] ، أو ما يعرف بالانبعاث على نحو متكرّر في دورات الكون والفساد، والتي اصطلح على تسميتها في المدوّنة العربيّة الإسلامية "**بالتناسخ**" على نحو ما ذكره البيروني في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة" مصوّرا فيه مراحل تنقّل النفس "من بدن إلى بدن وفي كلّ بدن تستفيد تجارب ومعلومات جديدة. فالأرواح الرّاقية تتردّد في الأبدان البالية من الأرذل إلى الأفضل دون عكسه وتترقّى النفس في الكمال حتى يتحقّق شوقها إلى علم ما لم تعمل وتستوفي بذلك شرف ذاتها." [٤] . إنّ هذه الحلقة المفرغة عن صورة هذا العالم الحادث إنّما كان بغاية تحصيل النجاة للرّوح من مصدر آلامها بتنقلّها في عوالم مختلفة حتى تتحقّق معرفتها واتّصالها بالرّوح العليا، لكن السؤال الذي يفرض نفسه هل يحصل استيفاء هذه المعرفة في دورات تكرار المولد في الحياة الدّنيا أم بعد الموت؟.

لقد أرجع بعض الباحثين اعتقاد الهندوس بالكارما الذي هو أساس التناسخ إلى اعتقادهم بأنّ الرّوح أزليّة لا تفنى فناءا كاملا فإذا خرجت من جسم حلّت في جسم آخر وهكذا تنتقل من

أنظر بارندر(جفري): المعتقدات الدينية الشرقية لدى الشعوب القديمة ، سلسلة عالم المعرفة ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام : سلسلة عام المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت ، عـ١٩٩ـدد ، يوليو ، تموز ١٩٥٥ ، ص ١٥٥

(١)، كولر (جون) : الفكر الشرقي القديم : سلسلة عالم المعرفة ترجمة كامل يوسف حسين ، مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام : سلسلة عام المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت ، عـ١٩٩ـدد ، يوليو ، تموز ١٩٥٥ ، ص ٣٣٨

(٢) David، f/ford with Rachel Muers: Backwell Pubishing LTD 2005 : p777

(٣) السمسارا : العقيدة التي تقول إنّ النفس تموت على نحو متكرّر وتولد من جديد وتتجسّد على نحو متكرّر في كائن حيّ جديد وهي حلقة مفزعة رهيبة تعبّر أولا عن الصورة في عالم الحادث ثمّ الانبعاث من جديد بشكل متتابع ، أنظر المعتقدات الدينية الشرقية لدى الشعوب القديمة ،ن م،،ص ١٥٥

(٤)، البيروني (أبو الرّيحان) : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة : تأليف أحمد سعيد الدّمراداش ، د ط ، ص ١٢

جسم إلى جسم حتّى الفناء، فتستوفي حسابها من خلال دوراتها في الدّنيا دون انقطاع ذلك أنّ " **الظّالم قد ينتهي دون أن يذوق عقاب ظلمه فلجأ الهندوس إلى إيجاد عقيدة التناسخ حتّى لا يفرّ المرء من الكرما** " [١]،و لهذا وجب أن يحرق البدن حسب تعاليم "**الكارما**" ليحصل الخلاص وتتحرّر الرّوح من السيّئات والشّرور ،فتنجو بذلك من تنقّلها الدّائم و تتّصل بروح براهما .فهل يكشف عن وجود بدايات أولى لعقيدة خلاصيّة في الدّيانات الشرقيّة القديمة تقضي باتحاد الروح و اتّصالها بالرّوح العليا أو الموجود الأسمى ؟

إنّ ما يؤكّد هذا التخمين انّ كثيرا من الهندوس يمارسون طقوسا تعبديّة صارمة تتجاوز قدرة تحمّل البشر وغالبا ما تتركّز هذه الطّقوس حول النّار المقدّسة اذ أنّ تكفير الناسك عن خطاياه يكون قاسيا إلى أقصى حد بالاضطجاع وسط النار والتحديق في الشمس لساعات طويلة والوقوف على ساق واحدة حتّى يتمّ له الخلاص من جاذبيّة الدّنيا أو "**الموكشا** ".

غير أنّ تحصيل هذه السّعادة الرّوحيّة لا يتمّ إلاّ عن طريق الفداء و التضحية المستمرة ،و لبلوغ هذه المرتبة يمارس الهنود رياضة **اليوجا** وهي رياضة روحيّة لضبط النّفس ، تقوم على التأمّل ،والتفكير ،والصمت ،والالتزام بنظام أخلاقي صارم من الزّهد والتقشّف .وتبدأ اليوجا برسم مجموعة من الضوابط الأخلاقية **ياما** التي تستبعد كل الأعمال الدنيئة وتحث على الأفعال الخيّرة لكن هذه الصّرامة إنّما كانت بغاية التحرّر الكامل من كلّ القيود حتّى بصل البرهمي إلى حالة من التعايش بين اليقظة والنوم والوعي واللاّوعي .إنّه خروج عن دائرة الزّمان والمكان للاتّحاد بعالم البراهما ، وهو ما كشف عنه مرسيا الياد في مقال له عن أصل التصوّف الهندي " اليوغا والخلود والحريّة " واعتبرها رؤية وجوديّة تحدّد علاقة الإنسان بالكون و ليست مجرّد ممارسة طقسيّة دينيّة لأنّها "**تعني عنده الخروج من الزّمان والمكان ، والوصول إلى الحريّة** "[٢] .وعلى هذا الأساس لن يتم للنفس التحرّر إلا بعد أن تتخلّص من ميولاتها و شهواتها التي هيأت لها إمّا الجزاء بارتفاعها إلى الأرواح الباقية ،أو العقاب بتردّيها في الأبدان البالية .

إنّ هذا السعي المتواصل لتحقيق الترقي سيمكّن النفس من التخلّص من تكرار المولد لتعود النفس في نهاية مطافها إلى مصيرها الأول براهما، إذ كل شيء ينطلق من براهما ليعود إليه. هكذا يبدو أنّ "**هدف الحياة الاسمي هو الانطلاق من دورات الوجود المتوالية للاندماج في الكائن الاسمي وهذا الانطلاق لا يكتسب بالأعمال لأنّ الأعمال الصّالحة تنتج ثمارها عن طريق الميلاد المتكرّر كما تفعل الأعمال الشرّيرة إنّما يجيء الانطلاق عن طريق الاستنارة**

---

(١) ضياء الرحمان الأعظمي (محمد) :دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند ،مكتبة الرشد ،ط٢٠٠٣،ص٦٢٩

(٢) الماجدي(خزعل):علم الأديان :تاريخه مكوّناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله ، مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث ، ط١، ٢٠١٦ م،ص ١٣٤

الإلهيّة"[١] . وهو ما ينبّهنا إلى أنّ قانون الكارما أو قانون الجزاء والحساب العادل يدلّ دلالة صريحة على خيريّة هذا الإله إلى حدّ تنزيهه ولعلّ ذلك ما برّر القول بأنّ الهندوس عرفوا عقيدة التوحيد على نحو ما ذكره البيروني في كتابه " الفلسفة الهنديّة "من أنّ "**اعتقاد الهند في الله سبحانه أنّه الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء** "[٢]. غير أنّ ويل دورانت فنّد هذا القول وأكّد على فكرة التعدّد في حين اعتبرها البعض الآخر عقيدة وحدة في تثليث وتثليث في وحدة على نحو ما كان شائعا في المعتقدات الهندو آريّة القديمة. ومهما يكن من اختلاف إلاّ أنّ الثابت أنّ قانون الكرما أو قانون الجزاء والحساب مثّل عند الهنود عقيدة خلاصيّة ، انبنت عليها كلّ تصوّراتهم الدّينية لخلق الكون ووجود الإنسان وفاعليّته في عالم الكون والفساد لكن باتّجاه القول بوحدة الوجود التي تختزل صور انعتاق النفس من عذابات ميلادها الشخصي المتكرّر بحسب أفعالها من حيوان أو نبات أو جماد أو انسان عادي أو ناسك ...

لقد آمن الهندوس "**بالخلود الشخصي، فالرّوح بعد الموت تُلاقي إمّا عذابا أو نعيما**" [٣] ، فيلقي الإله **فارونا** الإله الحارس للنظام الطّبيعي والأخلاقي للكون أصحاب الخطايا والآثام في هوّة مظلمة سحيقة. أمّا أصحاب الأعمال الخيّرة فيرفعها الإله **ياما** وهو إله الموت إلى الجنّة، و هي المقام الذي ترتقي إليه الأرواح الطّاهرة بخلاصها من الآثام و الشّرور بعد أن أعدّت النفس تقديماتها الطقسيّة في أشكال العبادة والقرابين معبرها لتحقيق مراتب الترقّي . بالرّغم من ادّعاء البعض أنّ " **الهندوسيّة لا تؤمن بحياة آخرة فيها جنّة ونار وثواب وعقاب وإنّما تربط معتقدها في مصير الانسان بموضوع التّناسخ** "[٤] في تراتبيّة تنتقل بها النفس من بدن لآخر .

ألا يثبّت ذلك اهتمام الفكر الدّيني منذ بداياته الأولى بالوصل بين عالمي الحياة و ما بعد الموت من جهة وما يترتّب عن فعل الإنسان في تردّده بين الخير و الشّرّ من الاستحقاق الإلهي العادل للثواب والعقاب؟ ألا يعود بنا ذلك للاعتقاد إلى ما تحمله هذه المعتقدات من اتجاه توحيدي في عبادة هذا الإله المفارق للطّبيعة أو المطلق الإلهي القدسي بتعبير أوتو رودولف؟ .

٢،الفضيلة وسبل الخلاص في البـــــــــوذيّـــــــــة:

لم تكن البوذيّة [٥] فحسب اختـــزالا للبرهميّة في جانب الاعتقاد بمقـــولة الثالـــوث المقدّس للآلهة وإمكان الخلاص الشخصي للإنسان، بل تجاوزت ذلك لتصبح منهجا تربويا في التجديد وإضافة في مستوى آداب السلوك والحياة والمعاملات برغم الاختلاف بين الباحثين في

---

(١) نجيب سعيد : أديان العالم الكبرى ، دار الشرق والغرب ، مطبعة النيل المسيحيّة ، ص ٢٩،٣٠

(٢) البيروني : الفلسفة الهنديّة ، مراجعة عبد الحليم محمود وآخرون ،المكتبة العصريّة ،بيروت ،دت ، ص ٢٦

(٣) دورانت (ويل) : المصدر نفسه ، ج ٣ ،، ص ٣١

(٤) السمحراني (أسعد): ترجمان الأديان ، دار النفائس ،ط١ ،٢٠٠٩ ،بيروت ،لبنان ، ص٦٠

(٥) الـــبوذيّة : هو المنهج الذي قام به جون سدهاتا في شمال الهند في ق ٦م و استهدف في جوهره التّحرّر بنور البصيرة، و اعتمد على التأمّل للوصول إلى حالة النرفانا... أنظر: جون كولر ، المصدر نفسه ، ص٤٢

مدي إقرار بوذا مؤسّس هذه الديانة بمقولة الألوهيّة أو إنكارها. إذ لم يكن **البوذا**[١] أو "**غوتاما سيدهاتا** "باجماع الباحثين نبيّا ولا صاحب دين، وإنّما كان فيلسوفا باحثا مفكّرا، وعلى أساس هذه الفلسفة قامت أسس العقيدة البوذيّة ذات النزعة الإنسانيّة، إذ نهى بوذا في خطبه ومواعظه لتلاميذه عن البحث في مسألة الالوهيّة وأصل الحياة المصير. وحثّ أتباعه على البحث في سبل الخلاص من الآثام و الشرور و الخطايا و الذّنوب، لأنه طريق الحكمة الذي يجب أن تتّبعه الذّات البشريّة بعيدا عن أي تدخّل للإرادة الإلهية وفي حياة واقعيّة يعيشها النّاس بكلّ تناقضاتها الدّاخليّة. ذلك أن الذّات نفسها "**تتطهّر من الآثام وعدم التّطهّر كذلك تملكه الذّات نفسها فليس هناك شخص يستطيع أن يطهّر إنسانا آخر**"[٢] .وهذا مضمون استنارة بوذا التي اختزلها في عبارة "**الحقائق السامية الأربعة التي يخضع لها الوجود الإنساني** " [٣] والتي وصل إليها بعد بحثه في أسباب المعاناة والألم وهي:

أ،حقيقة الألم "الدّوخا"Dukkha: ذلك أن الألم ملازم لكل الوجود في كلّ مراحل الحياة البشريّة من الميلاد والموت وفي الفرح والحزن، والسّخط، والمرض ذلك أنّ "**الوجود يحمل في طيّاته الألم**"[٤] . و تعبيرا عن حدّة الألم نقل عن بوذا في أحد عظاته أن "**الميلاد معاناة، و الملل معاناة، والمرض معاناة، والموت معاناة ،ووجود الأشياء التي نكرهها معاناة، و الانفصال عن الأشياء التي نحبّها معاناة ، وعدم الحصول على ما لا نرغب معاناة ،وباختصار فإنّ المجموعات الخمس التي تنبع من التّملّك مؤلمة** "[٥] وقد تنبّه بوذا لهذه الحالة الوجوديّة قبل استنارته عندما كان يتنقّل بين النّاس في الأسواق متسائلا عن وجود الإنسان وحقيقة ما يعايشه من آلام المرض والشّيخوخة ومعاناة الموت ، فبدى له العالم كلّه مثقلا بالآلام حتى عالم الآلهة الذي قد يبدو لنا أنّه مترع بالسّعادة فإنّه في الحقيقة يغمره شيء من الألم رغم أنّ بوذا يرفض الحديث عن عالم الآلهة بقدر اهتمامه بعالم الإنسان لكونه عالم مبهم وغامض . إلاّ أنّه يقول " **إنّ الآلهة أنفسهم لو كان لهم وجود لما كان في وسعهم أن يجيبوا على أمثال هذه المسائل** "[٦] التي تثير في الحقيقة تساؤلات أنطولوجيّة عديدة .

---

(١) **بوذا BOUDDHA** : تعني الكلمة المستنير الكامل أو المتنوّر أو المستيقظ المنتظر و هو مؤسّس البوذيّة ، اسمه سدهارتا جوتاما ابن أحد حكّام مقاطعة ساكاس أدرك في سنّ ٢٩ أنّ الانسان يعاني المرض و الشيخوخة و الموت فأقلع عن حيات الامارة و تحوّل إلى ناسك متجوّل حصل على الإلهام أو الاستنارة : انظر قصّة الحضارة :ن م : ج٣: فصل ٤: باب ١٥، ص ٧٩.

(٢) شبلي (رؤوف) : الأديان القديمة في الشرق ، دار الشّرق بيروت ، بيروت ،ط١، ١٩٨ ص١٧٩

(٣) دورانت (ويل): مصدر سابق ، ج ٣ ، فصل٣ ، ص٧٥

(٤) كروزيه (موريس) : تاريخ الحضارات العام ، منشورات عويدات ،بيروت ، لبنان ، ط١ ، د ت ،ج١ ، ص٥٧٢

(٥) كولور(جون) : المصدر نفسه ، ص ١٩٢

(٦) دورانت (ويل) : قصّة الحضارة ،ن م ، ج٣ ، الفصل٤، الباب١٥ ، ص٧٩

ب،سبب الـألم " السّامودايا "samodhaya : ويسمّى أيضا "**النشأة** " لقد تساءل بوذا عن سبب معاناة الإنسان و مأساته ،و عن أسباب الخطايا و الآثام و الشرور التي تقترفها الذّات في عالمها الحسّي ، فردّه إلى ذلك الفراغ الرّوحي الذاتي لخلوّ العالم من اله أبدي خالق يوقف هذه الرّغبة الجامحة في إشباع الشهوات و لذلك أرجع بوذا سبب الألم إلى الرّغبة واللّذة والشّهوة إذ كلّما ازدادت رغبة الإنسان و شهوته في استهلاك الأشياء وإشباع الرّغبات والملذّات ازدادت شروره وخطاياه ويزداد بالتّالي عداءه للطّبيعة والإنسان ومن هنا انتهى بــوذا إلى الحقيقة الثالثة وهي :

ج،كيف يمكن الحدّ من هذه الآلام " النيروذا "nirodha : إنّ الإنسان هو الذي يطهّر ذاته من الدّنس بالكفّ عن الرّغبة الفرديّة وذلك حتّى يتمّ القضاء على الجذور الثلاث للألم و هي الخطأ و الجهل و الأشجان و ذلك عن طريق قتل الشهوات، و التّرفّع عن المادّة ، و إيقاف هذا الظمأ المستمرّ للأشياء. و لن يتمّ ذلك إلاّ "**بالانقطاع و العزلة و الخلاص و فكاك أنفسنا ممّا يشغلها من شؤون العيش**"[١] فيصل الإنسان إلى حالة البرود " **النبوتا** " التي تتحقّق بها الصحّة العقليّة والسّلامة من كلّ الانفعالات السّيّئة المسبّبة للآلام .و بهذا التدريب النّفسي يصل البوذي إلى الحقيقة النّبيلة الرّابعة .

د،طريق الخلاص" الماجا "magga: وهو طريق مكّن بوذا من بلوغ درجة **النرفانا**[٢] أو الإطفاء الكامل للشّهوات والارتقاء إلى هذا المقام الأسمى رسم بوذا الطريق الوسط الذي يجب على الذات إتباعها حتى تضمن توازنها و تمنعها من الوقوع في الخطايا إنها تلخص طريقة الحياة التي تميّز البوذيّة كفلسفة عمليةّ في التدريب والتهذيب النفسي "**إنها السبيل السامية ذات الشعب الثمانية ألا و هي سلامة الرأي وسلامة البنية، وسلامة القول، وسلامة الفعل، وسلامة العيش، و سلامة الجهد، وسلامة ما نعي به، وسلامة التركيز**"[٣] .وهي بمثابة قواعد أخلاقيّة منظّمة للسّلوك تفقد البوذي إحساسه بوجوده الفردي ،وتخمد نوازعه الشخصيّة حتّى يتمكّن من التّحرّر من دنس الغرائز وشهواتها المكبّلة لإرادته ليصل إلى طريق الحياة السّامية التي يسير فيها البوذي وفق الأخلاق والتأمّل والحكمة ،وهي حياة تتّسع لتستوعب كلّ العالم فتنفلت من حدود الأنا بكل ما فيها من تناقضات إلى جوهره الروحاني الخيّر وهذا هو الهدف الأسمى الذي

---

(١) دورانت(ويل) :قصّة الحضار م س ،ج٣، ص ٧٦

(٢) النرفانا : كلمة سنسكريته تتألف من المقطعين "نر NIR" أي يطفئ أو يخمد، و "فا VA" بمعنى الأمر، الذي يجعل الكلمة تعني في مجملها "الانطفاء" أو "الاخماد" ، أنظر كولر (لجون): الفكر الشرقي القديم ،المصدر نفسه ، ص ٢٠٢

(٣) دورانت (ويل) : قصّة الحضارة ، ج ٣ ، ص ٧٥

ينشده البوذي من تأمّله. وفق هذا الطرح الأخلاقي "**لا تعتبر البوذيّة إضافة في صميم العقائد الدّينيّة بل إضافة في آداب السّلوك وفلسفة الحياة** "(١)

إن هذه السيرة في التدريب النفسي و التهذيب الخلقي على الزهد هي التي دفعت بوذا إلى العزلة و التقشّف و اكتسب بذلك في نظر أتباعه التقديس حتّى عدّى عند بعضهم النبي المعظّم على نحو ما نقله ويل دورانت في إحدى محاوراته بالرغم من أنّه لم يدّعي النبوة قط ولم ينسب استنارته لوحي إلهي سابق . كما اعتبره البعض الآخر المنتظر أو المنقذ على النحو الذي يستعار منه اسم بوذا الذي يعني" **المستنر الكامل**" أو" **المستيقظ** ".

لقد اكتسب بوذا في تاريخ أتباعه لقب المخلّص، ما يكشف لنا محوريّة هذه العقيدة في الدّيانات الوضعيّة وتأثيرها في الوعي الدّيني الشرقي القديم الذي انشغل منذ بداياته الأولى بالبحث في ثنائيات الجسد والرّوح أو الخير والشّرّ المتأصّل في الذّات البشريّة وفق تعليلات ميثولوجيّة تبحث عن الخلاص وسبل تحصيل السّعادة والنّعيم الأبدي. فهل يمكن اعتبار بوذا المخلّص فاديا لأتباعه الملهمين بسيرته في التدريب والتهذيب الخلقي؟.

إنّنا لا نظفر في الحقيقة بمعنى صريح للفداء في محاورات بوذا على النحو الذي تفصح عنه الأناجيل كعقيدة أساسيّة في محاورات المسيح لأتباعه وإن كنّا نجد تقاربا كبيرا بين بوذا والمسيح على النحو الذي رصده ويل دورانت في كثير من تعاليمهما وخاصّة عقيدة الخلاص ودعوتهما لقيم المحبّة والتّسامح كما صرّحت به الوصايا المضمّنة في إنجيل بوذا في نحو قوله "**لا تزهق روحا ، لا تأخذ ما لا تستحقّ ،لاتزن ، لا تكذب أو تغشّ أحدا ،لا تسكر ، كل باعتدال ،ولا تأكل شيئا أبدا بعد الظهر، لا تشهد رقصا ،ولا تسمع غناء أو تمثيلا ،لا تلبس حليّا ،ولا تتعطّر، ولا تتّخذ زينة ،لا تنم على فرش باذخة، لا تقبل ذهبا و لا فضّة ...**"(٢) .لكن السؤال الذي يلحّ في طرحه هل بإمكان الانسان بذاته تحقيق خلاصه الشخصي أم يحتاج لمخلّص يقوده لهذه المرتبة ؟

يعتقد البوذي أنّه "**دون مخلّص سيخضع الأفراد دوما إلى نتائج أعمالهم وهذا المخلّص هو بوذا**" (٣) . في حين أنّ بوذا لم يصرّح بأنّه الفادي إلاّ فيما ندركه حين نقف على أحد الرّوايات من التراث الدّيني التي تنقل إلينا محاولة الشيطان وبناته الثلاثة غواية بوذا وصدّه عن تحقيق استنارته وانتصاره أخيرا على حيلهم الشيطانيّة "**بعد ليلة من الصراع الرّوحي أمكنه أن يتغلّب على جميع العوامل الشرّيرة التي تربط النّاس في رأي البوذيّة بهذا العالم الفاني . هكذا**

---

(١) العقّاد (عباس محمود):الله :كتاب في نشأة العقيدة الإلهيّة ، منشورات المكتبة المصريّة ،دت ،ص٧٧

(٢) كارل (جوزيف) :حكمة الأديان الحيّة، ترجمة حسين الكيلاني ،منشورات دار مكتبة الحياة ،دت ، ص ٢٤ أنظر الوصايا العشر في سفر الخروج ٢٠ :٧، ١٧

(٣) ، موريس كوزيه : تاريخ الحضارة العام ، ص ٦٢٧

استيقظ بوذا ودخل نطاق الوجود الأزلي " [١] .ولا نعتقد أنّ تصوّر هذا الوجود الأزلي يحيل نظريّا إلى معني الفداء المسيحي ويتأكّد لنا ذلك بالنظر إلى حرص بوذا على تدريب تلاميذه طرق الخلاص الشخصي الذى يدرك بسعي الإنسان وتحرير إرادته لتغيير واقعه في تجلياته الفردية والاجتماعية وخاصّة النفسيّة و الرّوحيّة.

لقد انعكست تعاليم بوذا التي تسمّى "**النظام**" أو "**عجلة الشريعة**" على الحياة الاجتماعية، ما يؤكّد لنا أنّ الفكرة الدّينية إنّما هي فكرة أخلاقية بالأساس لأنّ غايتها الارتقاء بالجوهر الرّوحاني للإنسان، ولذلك لا يهتم بوذا بالطقوس والشعائر والعبادات بل يهتم بجانب المعاملات وآداب السلوك والأخلاق حتى عد شبيها بالمسيح بما قدمه لأتباعه من وصايا وعظات أكثر صرامة من الوصايا العشر التوراتيّة: تبعدهم عن وقوع في الخطايا وتضمن لهم الخلاص الذّاتي من الذنوب. لقد أسّس بوذا بهذا النهج "**منظومة أخلاقيّة توازن بين تشديدها على نبذ الحياة وعلى النّصائح الأكثر إيجابيّة** "[٢]

هكذا يبدو أن المدار الأساسي للدّين عند الهنود هو البحث عن طريق الموصل للخلاص **موكشا** وهي كلمة سنسكريتيّة تعني حرفيّا الانعتاق أو الفرار من تكرار المولد لذلك تركّز كتبها المقدّسة على مجموعة من المهلكات في مستوى الوجدان والأفعال والخصال.كما تبحث عن سبل النّجاة من هذه المهلكات والتي تشمل في جانب كبير منها أسس عمليّة في التّفكير الصحيح، والفعل الحسن لحياة الأفراد. وهي سمة بالغة الحضور في الفكر الدّيني الهندي نجد معالمها واضحة في الدّيانة الجينيّة التي تعد عند بعض الدّارسين مذهبا دينيا إصلاحيا لتعاليم البرهميّة سبقت البوذية في بحثها عن الخلاص و سبل الوصول إليه وإن اتّفقا في الاعتراف بمسألة الألوهيّة وابقائهما على آلهة الهندوسيّة ، كما يتّفق "**جينا**" مؤسّس هذا المذهب مع بوذا في قضيتي التناسخ في دورات الحياة المتكررة وفي بلوغ الناس درجة الكرما، إلاّ أنّه اختلف معه في تحديد دلالتها إذ كانت تعني عند بوذا ذلك القانون الملزم للروح بالجزاء على جملة الأعمال الخيرة والعقاب على الأفعال الشريرة أما جينا فالكارما قانون العدل الصارم .لذلك رسم لأتباعه طريق النجاة الذي يعني "**التطهر من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية والتخلّص من قيود الحياة ومن تكرار المولد**" [٣] حتى يصل الرّاهب إلى مرحلة لا يحسّ فيها بالكره والحبّ والحزن والفرح والحرّ والبرد إنّها مرحلة العري التّام أو الانتحار ذلك أنّ " **التّعلّق بملاذ الحياة ومتعها هي السبب في عودة الحياة إلى الجسم في صورة ما ،بعد الموت ، فلا**

---

(١) بارندر(جفري): المعتقدات الدّينيّة لدى الشعوب القديمة ، ٢١٨

(٢) السوّاح (فراس) : موسوعة تاريخ الأديان ، دار علاء الدّين ، ط١ ، ٢٠٠٦ ،ص ١٦٠

(٣) احمد شلبي (أحمد) : مقارنة الأديان ، مطبعة النّهضة المصريّة ، ج٤ ، ص ١١٧

يتنقّل الإنسان بذلك من ألم إلى ألم و أنّه لا سبيل إلى الرّاحة التّامة إلاّ بالزّهد التّام في الحياة ليموت الانسان بلا رجعة فلا يعود إلى آلام الحياة كرّة أخرى "(١)

وسواء تعلق الأمر بفكرة "الانطلاق" في **البرهمية** أو النرفانا" في **البوذية** أو "النجاة " في **الجينية** فهي تعبّر عن سمة أساسيّة ينبني عليها الوعي الدّيني عموما في بحثه دوما عن سبل خلاص الإنسان مما تعلق به خطايا وإن كان يقتضي في بعض الأحيان التضحية بالذات والدّعوة إلى فنائها.

إنّ هذا الخلاص هو أسمى ما تتطلع إليه الفلسفات الهنديّة حتى يبلغ الإنسان السّعادة القصوى ولا يكون مدار تحققها إلا بالحضور الفعلي للإنسان في الكون من جهة تغليبه للسير خلقيّا باتجاه إسعاد نفسه وإسعاد الآخرين والتخلّص من شرور ذاته وآثامها باعتبارها محور تنازع بين حدّي الخير والشر. إلاّ أنّ هذا المرقى في التّطلّع للأسمى لم يحجب عن هذه التصوّرات اهتمامها بمشاغل الإنسان اليوميّة في صراعه بين ثنائيّات الخير والشرّ و وهو ما يكشف عن محوريّة مسألة الخطيئة والخلاص في كل التمثّلات الدّينيّة وضعية كانت أو سماوية .

٣،الثنويّة والخيار البدئي الأخلاقي في الزرادشتيّة

أ- **مفهوم الألوهيّة بين الوحدانيّة والثنويّة :**

يظهر أنّ "**الزرداشتيّـة** "التي أسّسها **زرادشت** (٢) في إيران في القرن ٦ ق م لا تختلف عن مثيلاتها من الدّيانات الشّرقيّة القديمة من جهة ملامستها للمجازات الأسطورية واستنادها على الثّنائيّة في الاعتقاد بتوزّع حدّي الألوهية بين إله خالق وآخر مدمّر وهو ما يثبت الوحدة التراكميّة في بناء مدارات الاعتقادات في التّصوّرات الشرقية القديمة على ثنائية الخير والشر المحكومة بثنائيّة صراعيّة في تركيب الإنسان من مادّة وروح غير أنّ فرادتها تظهر جليّا في سبقها لبعض العقائد التوحيديّة وخاصّة العقائد الخلاصيّة حول النّهايات الاسكاتولوجيّة للعالم ومصير الانسان ما جعل كثيرا من الباحثين يجمعونها مع الدّيانات الإبراهيميّة الثلاث كاليهوديّة والمسيحيّة والإسلام كما أنّ "**كثيرا من الأفكار الجديدة عن تاريخ الإيمان دخلت بعد ذلك في صلب عقائد وطقوس الأديان اللاّحقة ومن أهمّ تلك الأفكار التوحيد والمبدأ الكوني للشرّ. الشيطان ونهاية التّاريخ والقيامة العامّة للموتى وصراع ملائكة الخير مع جند الشرّ** "(٣) .

---

(١) الدرّاز عبد الله (محمد) : نشأة الدّين: بحوث ممهّدة لدراسة تاريخ الأديان ، مؤسّسة هنداوي ،مصر ، ص٣٩

(٢) **زرادشت** : ويسمّى زوآسترا (٦٢٨ق م ،٥٥١ ق م) مؤسّس الزّرادشتيّة ، وصلتنا تعاليمه في سبعة عشرة ترنيمة من ترانيمه المسمّاة جاثا وهي أهم أجزاء الأبستاق الكتاب المقدّس عند الزرادشتيين ، عرف بحبّه لله وحكمته ، ويرى أنّ الله هو السّيد المهيمن الحكيم أهورمزدا خالق السّماوات والأرض وهو الأوّل و الآخر ، ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالشرّ فروحه المقدّسة هي التي تقيم الحياة وتخلق الرّجال والنّساء

(٣) السوّاح (فراس) : الله والكون والإنسان في تاريخ الأفكار الدّينيّة ،دار التكوين ،سوريا ، ٢٠١٦ ،ص٦٠.

لكن كيف تمّ الوصل بين حلقتي الفكر الديني في النظر لمقولة الألوهيّة؟ وهل كان لها تأثير في صياغة حياة البشر ورؤيتهم للعالم ؟

لقد انطلق زرادشت من التّأمّل في ذلك الصّراع المستمر في حياة البشر بين قوى الخير وقوى الشرّ المدمّرة وظهر له أن هذا العالم يحكمه اله واحد هو **أهورامزدا** خالق الكون وهذا الإله هو "**الموجود الأعظم والأفضل والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة**"[١] ،وبدى لزرادشت أنّ الصّراع قائم بين مجموعتين من القوى المتضاربة: مجموعة قوى الخير وعنها تفيض قوى النور والحياة ، ومجموعة قوى الشرّ المدمّرة ومنها يكون الموت والظّلام والتي تخضع للإله **أهرمن Ahriman** "**الموجود بصفة مستمرة والمسؤول عن كل شرور العالم وعن الأمراض والموت والغضب والتهم**"[٢] ، ولعلّ ذلك ما يجعل حضوره مشابها لصورة الشيطان أو إبليس في الدّيانات السّماويّة لما يختزنه من شرور وآثام للعالم . لكن مع اعتبار تاريخ العالم وفق الزرادشتية تاريخ الصّراع الأبدي بين الخير والشّر الذي لا ينفكّ عنه الوجود الانساني.

إنّ هذه الحقيقة الوجوديّة الصراعيّة لا تنفصل عن الاعتقاد الغيبي بالحضور الإلهي ذلك أنّ " **الله هو الموجود الأعظم والأسمى والأفضل من حيث الفضيلة والاستقامة والخير وأنّ الشرّ لا يمكن أن يصدر عنه لأنّ الشرّ جوهر مثله مثل الخير وكلّ منهما يرجع في النّهاية إلى سبب أوّل هو الله ...وبما أنّهما جوهران متعارضان فلا محالة يشتبكان في الصّراع** "[٣] . ولعلّ هذا التصوّر المتعالي للألوهية هو الذي دفع بعض الدّارسين لاعتبار هذه الدّيانة من العقائد التوحيديّة بالرغم من وجود بعض العوالم الميثولوجية في رسم ملامح تاريخها المقدّس على النّحو الذي نجده حاضرا بكثافة في المعتقدات الشّرقيّة القديمة ما يوقفنا على حقيقة استفادة الزّرادشتيّة من عقائد المناطق المجاورة لإيران التي عرفت التوحيد أو الحنفيّة التي جاء بها إبراهيم عليه السّلام.

غير أنّ شقّا آخر من الباحثين كمارسيا الياد ينفي ذلك ويرى أن الكشف الإلهي الذي تلقّاه زرادشت باعتباره نبيّا "**لم يؤسّس أبدا توحيدا ...إنّ نقطة الانطلاق في نبوءة زرادشت هي الكشف عن القدرة الكليّة وعن قداسة وطيبة أهورامزدا** "[٤] لا غير، والدّليل على ذلك انّ زرادشت يثبت قوّة تدخّل الإله أهورامزدا الموجود الأسمى بعنايته الفائقة لحماية البشر، وتمكينهم من التّغلّب على الخطايا السبع المهلكة للإنسان وهي: النفاق، والخديعة، والخيانة، والجبن و، البخل، والظلم ،والقتل. على أنّه باستطاعة الإنسان بذاته أيضا متي أعلن خضوعه للإله، تحقيق

---

(١) بارندر (جفري) :المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، م س ، ص١١٨

(٢) جفري بارندر : مصدر سابق ، ص ١٩٩

(٣) مودي(ج.ج.) :التعاليم الشفهيّة للدّيانة الزرادشتيّة ، بومباي ،د ط ،١٩٦٢ ، ص ٦، ٧

(٤) الياد (مرسيا) :تاريخ المعتقدات والأفكار ، دار دمشق ، سوريا ،ط ١ ،ج ١ ، ص٣٨٧

مجموعة من الفضائل منها الحكمة والشّجاعة والعفّة، والعدل، والإخلاص، والأمانة. وأن يتسلّح الإنسان باليقظة، والجهاد، والصبر.

لذلك يعد الإله أهرومزدا عند المتديّنين القوّة المدافعة دوما إلى جانب الحق فهو "**الإله الطيب الذي لن يسمح لعباده أن يعانوا إلى الأبد**" [١]، فبعث إليهم زرادشت "**ليخلص الناس من الطرق الشريرة**"[٢] . وهو معنى ينفتح على مفهوم " **الحرب المقدّسة ضدّ قوى الشرّ وكلّ مؤمن باختياره الدّين الجيّد كان مدعوّا لمحاربة الديفاس ونبذ عالم الشياطين، كان يساهم بعمل أهورمزدا وكبار الكهنة في التطهير الشّامل إنّه الوظيفة الافتدائيّة للدّين**" [٣] .والذي عبّر عنه قانون الإيمان الزرادشتي الذي لم ينكر عبادته لأهورمزدا كما لم ينكر إيمانه الخالص بزرادشت قاهر الشيطان. لكن كيف يمكن الجمع بين هذين المستويين من الألوهيّة ؟.

لقد ذهب فراس سوّاح في كتابه " الرّحمان والشيطان: الثنويّة الكونيّة ولاهوت التّاريخ في الدّيانات الشرقيّة " إلى أنّ "**المعتقد الزرادشتي قد ابتكر مفهوم الوحدانيّة الثنويّة** " [٤]وأكّد على أهميّة ما أسماه "**الخيار البدئي الأخلاقي**" الذي سيمنح للإنسان تماما كما منح سابقا للتوأمان "سيبنتامايتو" اله الخير و " انجراماينو "إله الشّرّ وفق مبدا الثنويّة الكونيّة الثّاوية " **وراء مظاهر الكون وصيرورة الزّمن والتّاريخ** "[٥]. وعبر هذه الثنويّة تتحقق المسؤوليّة الأخلاقيّة في المسار الخلاصي للزّرادشتية.

لعلّ هذا التّصوّر يبرّر لدينا الاعتقاد بأنّ فكرة "المخلص" التي تعد أساس العقيدة المسيحية لم تكن مستحدثة في الفكر اللاّهوتي المسيحي، بل كانت لها جذور ممتدّة في الدّيانات الشرقيّة القديمة كالبرهميّة والبوذيّة وخاصة الزّرادشية التي عدّت زرادشت ذلك "**النّبي المرسل الذي توضع لروحه الساهرة كل خطايا البشر**"[٦]. وهو ما تجمع عليه كثير من المؤلّفات الإسلاميّة القديمة إذ ورد في مروج الذّهب للمسعودي أنّ زرادشت هو " **نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام النّاس واسمه عند المجوس بستاه .... ثمّ عمل**

---

(١) بارندر(جفري) : المصدر نفسه ، ص١٢٣

(٢) الثعالبي (عبد العزيز): محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ط ١، ١٩٨٥ ص٥٨

(٣) إلياد (مرسيا) : تاريخ المعتقدات والأفكار الدّينيّة ، ج ١ ، ص ٤٠٢

(٤) سواح (فراس) :الرّحمان والشيطان : الثنويّة الكونيّة ولاهوت التّاريخ في الدّيانات الشرقيّة ، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، ص ٨٣

(٥) سواح (فراس) ن م :ص ١١

(٦) عبد العال (محمد جابر) : في العقائد والأديان : الدّيانات الكبرى المعاصرة ، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنّشر ١٩٧١،ص ١٦٧

زرادشت تفسيرا عند عجزه عن فهمه وسمّوا التفسير زندا ثمّ عمل تفسيرا وسمّاه بازنده "[١]، ويؤكّد ذلك ما رواه أبو الحسن البلاذري من أنّ المسلمين" **سنوا بهم سنّة أهل الكتاب** "[٢]،وعدّهم الفقهاء من أهل الذّمّة وهو ما ضمن لهم الأمان والتعايش مع المسلمين داخل المجال الإسلامي. وعليه فإنّنا نجد من الضرورة بمكان انطلاق الباحثين من تتبّع تراكميّة التجربة الدّينية بمنهج تطوّري يكشف لنا المكوّنات الأساسيّة لهذه العقائد الإيمانيّة القديمة السّابقة للتوحيد. ومؤدّى هذه الملاحظة تكشف لنا انشغال الوعي الدّيني مبكّرا بفكرة الخطيئة والخلاص ممّا جعلها تتّجه في اعتقادها " **بفكرة (المخلّص) الذي يأتي في نهاية الزّمان (التّاريخ) ويخلّص العالم والبشريّة من الشّرور وبعده يتوقّف التّاريخ وتعيش البشريّة التي انقذت زمنا مقدّسا هو زمن الآخرة ...**"[٣] . وقد أشار الشهرستاني لما ورد في كتاب زرادشتّ زند أوستا "**أنّه سيظهر في آخر الزّمان رجل اسمه أشييزكا ومعناه الرّجل العالم يزين العالم بالدّين والعدل** "[٤] لكن هل يتمّ هذا الخلاص دون مشاركة الإنسان في هذا التّحصيل الخلاصي؟

ب ،تعاليم زرادشت الأخلاقيّة :

لقد منحت تعاليم الزرادشتيّة لأتباعها مجموعة من الوصايا تسمى" اليواقيت الثلاث" وهي بمثابة نظام عملي يضمن للمتدين الخلاص من الخطايا، وهي حسن المعاملة والإحسان للفقراء و العفّة . فرسمت الزرادشتيّة لأتباعها أخلاقا فرديّة قوية تحقّق العدالة والوفاق الاجتماعي، وجعلت من العمل الحسن وسيلة للتقرب للإله، وعدّت "**الزهد خطيئة كبرى مثله مثل الانغماس في الشهوات**"[٥] في محاولة للموازنة بين حياة الرّوح و متطلّبات الجسد. كما اعتبرت "**عدم احترام الآخرين والعادات السيئة والشعور بالملل من الخطايا...**"[٦] .

ولتأكيد الفعل الخلاصي الإنساني قرنت الزرادشتيّة الطّقوس الدّينية بفكرة "**التّطهير**" الملازمة لأيّ عمل من أعمال العبادة اذ يتمّ الاعتراف بالخطايا والذّنوب التي ارتكبت عن طريق التفكير أو الكلام كعمليّة ذهنيّة تقتضي قدرا من المعرفة وتعقّل الأشياء. كما يقوم المتديّنون بعمليّة "**التعميد**" لحراسة النّفس وحمايتها من الأرواح الشريرة وهو عمل أساسي لنيل الخلاص لكن تدعّمه رغبة "**أهرمزدا**" في مساعدة الخاطئين إذ بعد أن "**توزن أفعال الإنسان بعد الموت**

---

(١) ويقصد المسعودي هنا مجموعة الأناشيد التي وضعها زرادشت بنفسه والتي تسمّى "الغاثا " ومجموعتين أدبيّتين تسمّى الأفستا والأفستا الصغرى والتي تمّ تدوينها في عصور متأخّرة في العهد السّاساني. المسعودي : مروج الذّهب ، تحقيق محمد محي الدّين ، عبد الحميد ،دار الفكر ، بيروت ،ط٥ ،١٩٨٣ ،ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) البلاذري (أبو الحسن) : فتوح البلدان ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٩٨٣ ،صص ٢٦٦، ٢٧٧

(٣) خزعل (الماجدي): المصدر نفسه ، ص ٤٩٨

(٤)، الشهرستاني : الملل والنّحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، بيروت ،دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ج١ ، ص ٢٣٩

(٥) شلبي (أحمد): المصدر نفسه ، ص ١٢١

(٦) شلبي (أحمد): مصدر سابق ، ن ص

بميزان، فمن رجحت حسناته سيئاته انتقل إلى السماء ومن رجحت سيئاته حسناته انتقل إلى الجحيم حيث ينال العقاب المناسب للجريمة" [١] . إلاّ أنّ هذا المصير ليس أبدياً إذ الغاية الأساسيّة من العقاب هو أن يخوض الإنسان خلال مرحل حياته تلك المواجهة بين ثنائيّات الخير والشرّ ويتحقّق له الصّلاح فالعقاب إذا ليس إلاّ نوعا من أنواع "**الإصلاح حتى إذا جاء يوم البعث أمكن أن يقوم الجميع بفضل المخلّص لمواجهة الحساب الأخير**"[٢] .

فإذا ما تخلّصت الرّوح من خطاياها حصل الانعتاق فتصعد النّفس إلى الفردوس الجديد في جنّة الخلد، أمّا الخاطئون ممن تعسّر عليهم الانعتاق في هذه الدنيا فسيتعرضون للميلاد من جديد وهي الفكرة المحوريّة التي سيطرت على الدّيانات الهندوسيّة إلاّ أنّها تحمل عند زرادشت نزعة تفاؤلية لأنّها تنتهي بتدمير جميع أفعال الشّيطان الشريرة "**فيتخلص الخير إلى عالمه والشرّ ينحطّ إلى عالمه ، وذلك هو سبب الخلاص** " [٣].

هكذا تبدو نظرة زرادشت للعالم تفاؤلية ذلك أنّ وجود الإنسان مبني بالأساس على مقاومة الشر وقمع الباطل حتى يتم عمله الخلاصي في الحياة ولذلك تطالب الزرادشتيّة المتديّنين "**أن يقهروا بعقولهم الشكوك والرّغبات السّيّئة وأن يقهروا الجشع بالرّضا. والغضب بالصّفاء والسّكينة، والحسد بالإحسان والصدقات، والحاجة باليقظة، والنّزاع بالسلامة، والكذب بالصدق**"[٤] . فهل تحمّل الزرادشتيّة بهذا المعنى الإنسان مسؤوليّته الكونيّة بعيدا عن تأثير عالم الآلهة وأساطير نهايات الخلق الكونيّة القديمة ؟

ج،مسؤوليّة الإنسان الخلاصيّة

يبدو أن اللانسان في الزرادشتيّة يمتلك إرادة في الاختيار وقدرة تمكّنه من تحقيق الخير وقهر "**أهرمن**" الذي كان "**أبا للخطيئة والمعصية والكفر...وكل من يساعده بسوء أفعاله سيصليه استواد إله الموت الذي لا يفلت من قضائه آدمي بنار الجحيم وسيكابد حتى أخر الزمان شرّ الشّقاء وأقسى الآلام** "[٥]. فالإنسان بهذا المعنى دون تشوّفه للمعرفة والحكمة لا يستطيع الإنفلات من هذا العالم بحكم ما يتنازعه خلقيّا في تكوينه الذّاتي من صراع دائم بين الفضائل و الرذائل ،محكوم بثّنائيّة الخطيئة والخلاص في معناها العقدي ،وهو ما ينبّهنا إلى حقيقة لم يخرج فيها زرادشت عن السّياق العام الذي حكم الغنوصيّة في المعتقدات الشرقيّة القديمة التي تثبت أنّ الخلاص مرتبة لا تتحقق إلاّ بانسلال النفس عن البدن المدنّس من حيث عناصره المادّيّة لأنّه مستقرّ الشياطين ولذلك فإنّ احراق الجثّة أو دفنها مثلا يعد في الزّرادشتيّة

---

(١) جفري بارندر : المصدر نفسه ، ص ١٢٣

(٢)، جفري بارندر : مصدر سابق ، ن ص

(٣) الشهرستاني (أبو الفتح): المصدر نفسه ، ١ / ص ٢٣٧

(٤) بارندر(جفري) : م س ، ص ١٢١

(٥) فريشاور (بول) : **الجنس في العالم القديم ، ترجمة فائق ممدوح ، دار الكندي**، ١٩٨٨ ، ص ٩٢

تدنيسا لعناصرها الماديّة ، فتعرض الجثث فوق أبراج لتلتهمها الطّيور الجارحة ،وكأنّ الخلاص لا يكون إلاّ روحانيّا عبر ما تمتلكه الذّات من ملكة معرفيّة تنال بالكشف والالهام لا بالتعلّم و التحصيل. هي التي تمكّن النّاس من أن ينقادوا "**لذاته السّماويّة أو الفرافشي fravashi وهي أرواح مرشدة لبقيّة البشر تقود الانسان في هذه الحياة الدنيا ثمّ ترشد الميّت إلى مستقرّه الأخير...وهم ذوات حرّة في استطاعتهم أن يختاروا اتباع الله أو اتّباع الشيطان فإذا ما اختاروا الحقّ فإنّهم يساعدون الله على نصره النّهائي** " [١]. فزرادشت لايبشّر فقط بخلاص الانسان الفردي او الجماعي بل بخلاص كلّ العالم من سلطة الشيطان وشروره .

لقد حصلت لزرادشت هذه الاستنارة من خلال بعض ما وصلنا من السّرديات الأدبيّة والدّينيّة في الزرادشتيّة كمجموعة الأناشيد "الغاثا" التي وضعها زرادشت أو مجموعة " الأفستا و"الأفستا الصغرى " .إنّ هذه الحريّة ومسؤوليّة الاختيار هي التي تجعل من الزّرادشتيّة قريبة من الدّيانات التوحيديّة وخاصّة فيما احتوته من بصائر أخلاقيّة بشّرت بها في تنظيم الحياة الاجتماعيّة وفق قيم الاعتدال و التعاون ما يؤكّد مسؤوليّة الانسان في اختياره .كما تشترك معها في تصوّرها للنّهايات الاسكاتولوجيّة للعالم و التي تشبه إلى حدّ كبير " **فكرة القيامة عند أتباع الرّسالات السّماويّة ولكنّهم يربطون نهاية العالم بعقيدتهم فيقولون بأنّ هذه النّهاية تكون عند انتصار أهورمزدا إله النّور على أهرمن اله الشرّ وبذلك تنتهي الشّرور من العالم ... وتنتهي كلّ أنواع الشّقاء وينتشر الحقّ ويكون الصّالحون في الجنّة** "[٢]. ولعلّ ذلك ما هيأ لفريدريك نيتشه (١٨٤٤ م ١٩٠٠ م) في القرن التاسع عشر إعادة بعث الزرادشتيّة في ضوء مؤلّفه "**هكذا تكلّم الزرادشت** " مبشّرا بموت الإله وظهور الإنسان الأعلى والذي اعتبر تجاوزا لعقيدة الإنسان ،الإله في المسيحية ....

٤ ،الكونفوشية و القانون الذهبي في التربية الأخلاقيّة

أ ،الإنسان و تأسيس مفهوم الطّيبة"الجين " :

لا نجد في العقيدة **الكنفوشية**[٣] بحثا تجريديّا في مسائل الفضيلة والرّذيلة والخير والشرّ والحق والباطل بقدر ما نجد نسقا من الممارسات العمليّة المركزة على مفهوم الطيبة " **جين**"[١]، الذي

---

(١) بارندر(جفري) : المصدر نفسه ،١٢٠

(٢) السحمراني (أسعد) :ترجمان الأديان ،ص ٥٠

(٣) **الكونفوشيّة** : هي اقدم المدارس الدّينيّة التي تتالف منها المدارس المأئة وكان مؤسسها كونفوشيوس هو الفيلسوف الصيني الأول ولد عام ٥٥١ ق م ومات في عام ٤٧٩ ق م...كان معلّما جوّالا أنشأ مذهبا أخلاقيّا واجتماعيا من كتابات دينيّة قديمة بعد يأسه من أن يضع حاكم مدينته تعاليمه موضع التنفيذ وقد جمعت تعاليم كوفيشيوس في كتاب عنوانه المخترات وهي عبارة على أقوال للمعلم سجّلها تلاميذه وأصبحت تمثّل عندهم الشريعة المقدّسة .أنظرمعتقدات الدينية : بارندر(جفري) ص٢٨٤ بتصرف

يدرك من خلال سلوك الأفراد في الحياة العامّة. ويوضّح كونفوشيوس هذا المفهوم لأحد طلبته بأنّها المروءة حيث " **تكون المتحكّم بنفسك،و تستهدي بأصول آداب السّلوك هذه هي المروءة .نرى هنا أنّ الذّات والمجتمع يتوحّدان حيث أصول السّلوك ،فهي المرشد للسّلوك الاجتماعي**"(٢) .

يبدو أن الهدف الأساسي من دعوة كونفوشيوس (٥٥١ ق م ،٤٧٩ ق م) إضفاء السّمة الأخلاقيّة على الواقع بتغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية اعتمادا على مفهوم الطيبة كمبدأ مطلق للفعل الإنساني ،وهذا ما يجعلنا وفق فلسفته إنسانيين في تصرّفاتنا، ذلك "**أنّ الطريق السليم للفعل الإنساني ليس طريق ما يحبه المرء وتجنب ما يكرهه إنّما هو طريق العمل وفق مبدأ أعمق هو مبدأ الجين**"(٣) .الذي يمارس في إطار العلاقات الإنسانية الخمس الذي تشمل " **علاقات الأمير بالرعيّة وعلاقة الابن بأبيه والأخ الأكبر بأخ الاصغر وعلاقة الزوج بزوجته وعلاقة الصديق بصديقه**" (٤) . فهل يعني ذلك اتّجاه الفكر الدّيني مع الكنفوشيّة إلى الانفصال عن عالم الآلهة وبالتّالي اعلان القطيعة عن عوالمها المقدّسة؟ وهل يبرّر ذلك القول بأنّها مذهب أخلاقي في السّلوك والتربية الاجتماعيّة أكثر من كونها دينا و معتقدا؟ .

لقد كانت الغاية الأساسية لكونفوشيوس هي تأصيل القيم الإنسانية السّامية لجعل الإنسان منظّما ومتناسقا مع نفسه ومحيطه، ولذلك لم يهتمّ كونفوشيوس بطقوس العبادة، وترنيمات الكهنة، وشعائرهم التعبّديّة. لأنّ المعرفة الحقيقيّة عنده لا تتكشف بالالتزام بالعبادة بل يصل إليها الإنسان عن طريق المعرفة الصّحيحة أو ما أسماه ،القانون الذّهبي ،الذي تعبّر عنه عقيدة التّوسّط كمبدا كونيّ لتحقيق انسجام الفرد وتوازن المجتمع. لقد بين كونفوشيوس الطّريق الذي يجب على الأمير اتباعها انّها طريق الملوك السّابقين الذين سلكوا في حكمهم وفق ما أمرت به السّماء، ذلك أنّهم يمثّلون نموذج الجين" الذي لن يتجسّد إلاّ بوجود (تي) TE أي الفضيلة وهكذا "**يكون على الأمراء ان يحكموا عن طريق الفضيلة التي هي مركز رفيع تجاوز قوته كثيرا القوة البدنيّة أو القهر**" (٥) .وهو بذلك يعطي صورة مثلى للحاكم الذي يجب على الرّعيّة اتّباعه لأنّ سلوكه قويم وحكمه ناجح ولأنّه أساسا يسير وفق المبدأ الأخلاقي. والحقيقة أنّ مثل هذا التّصوّر هو الذي جعل كثيرا من الدّراسات تعتبر " **الفكر الصّيني أقرب ما يكون إلى الفلسفة السّياسيّة، و أنّ**

---

(١) **جين JEN** : ترجمة كلمة جين بطرق شتى ومن هذه الترجمات الفضيلة الإنسانية الإحسان الرجولة الحقة الطابع الأخلاقي الحب الخير الإنساني، أنظر كولر(جون) : الفكر الشرقي القديم ،مصدر نفسه ، ص٣٥٠

(٢) سوّاح (فراس) موسوعة تاريخ الأديان : الشرق القديم ،دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، سوريا ، ط٤ ، ٢٠١٧ ، ص٣٤٨

(٣) كولر(جون) : الفكر الشرقي القديم ، ص ٣٥١

(٤) بارندر (جفري): المعتقدات الدينية لدى الشعوب ،ص ٢٨٨

(٥) بارندر (جفري): مصدر سابق ، ص ٢٨٨

هدفها خلق الإنسان المهذّب صاحب السّلوك العالي الأخلاقي"[١] أكثر من اعتباره دينا ونسقا من العقائد والممارسات الطقسيّة الملزمة للجماعة الدّينيّة .

ويبدو إلى هذا الحدّ أنّ كونفوشيوس قد شدّد اهتمامه بالعلاقات الأسريّة على فضيلة الولاء البنوي أو "**هيسياوHISIAO**" الذي يعني الاحترام الأخوي وخاصّة برّ الآباء والسّهر على رعايتهم وخدمتهم في حياتهم وهي أعظم الفضائل التي تولّد "الجين". ذلك أن تماسك الأسرة وانسجام أفرادها ينعكس مباشرة على تماسك المجتمع وانسجام روابطه. كما أكّد كونفوشيوس على ضرورة وجود "الي YI" الذي يعني "**الاستقامة كمبدأ أساسي للتطوير "الجين " و الــ(تــي) ذلك أنّ "الي " هو الاستعداد الأخلاقي للقيام بالسّلوك والقدرة على إدراك ما هو صحيح ....**" [٢]

فإذا ما توفر "**ي**" و "**هيساو**" و "**جين**" عند الإنسان، تم التجسيد الشخصي للفضيلة والخير والنبل، ولن يدرك الإنسان هذه المرتبة إلاّ من خلال معاناته وحرصه لاكتشاف دواخله ومعرفة المجهول المختفي وراء حجم أعماله. إنّه يعني الوقوف في النقطة التي فيها "**تكون جرثومة كياننا الروحي**"[٣] . تلك الجرثومة هي الأصل العظيم للكيان كلّه الذي ينبع من الذّات الإنسانيّة. فهل يمكننا القول أنّ الكونفوشيّة بتأكيدها على أخلاقيّات الفعل الإنساني قد أنزلت الألوهيّة من مقامها العلوي المفارق لتتّصل بالإنسان في أبعاده الفرديّة والاجتماعيّة؟

ب- القانون الذّهبي في التربية الأخلاقيّة

لقد أثبت ماكس فيبر (١٨٦٤م ،١٩٢٠ م) من خلال دراسته للأديان الشرقيّة مدي تأثير التعاليم الدّينيّة في إحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادي بل وتحديد السّلوك الاقتصادي للمجتمعات كافة غير أنّها متباينة في تشكيل نظرتها لوجود الإنسان وفهم العالم " **فبينما تدعو البوذيّة، والهندوسيّة، و التّاويّة إلى الزهد السّلبي، واحتقار الدّنيا ،وهذا يعيق النّمو الطبيعي للمجتمع. فإنّ الكونفوشيوسيّة تدعو إلى قيم دنيويّة، لكنّها تهمل الفرد والخلق والإبداع** "[٤] .

وإن كنّا ندرك أنّ هذه القيم الدّنيويّة لا تنفصل عن الرّؤية العامّة للدّين عند كونفوشيوس الذي أضفى عليه مضمونا أخلاقيا مؤسّسا على الفضيلة والخير والنّبل المتأصّل فطريا في الــذّات الإنسانيّة. ذلك أنّ الطبيــعة البشريّة عنـده "**خيرة بفطرتها ويشهد على صدق خيريّتها الفطريّة وجود أساس عام وشامل عند النّاس بالتقارب والصّواب**"[٥]. إنّه القانون الذّهبي الذي تنتظم به

---

(١) سوّاح (فراس) :م وسوعة تاريخ الأديان، ص١١٢

(٢) كولر(جون) : الفكر الشرقي القديم ، ص ٣٥٦

(٣) جابر عبد العال(محمد) : في العقائد و الأديان ، ص١٨٩

(٤) الماجدي (خزعل):علم الأديان ،ص١٥٠

(٤) بارندر(جفري): المعتقدات الدّينيّة لدى الشعوب القديمة ، ص ٢٨٨

(٥) بارندر (جفري) : مصدر نفسه ، ص ٢٩٢

حياة كلّ البشر ، ولعلّه أعدل الأشياء قسمة بين النّاس بما يضـــمنه من تأسيس "تاو" الإنسان الفاضل و"تاو" المجتمع المثالي".

لقد كانت فلسفة كونفوشيوس فلسفة دنيوية مشغولة بالعالم الذي نعيش فيه لا بعالم السّماء، ومجاله هو احكام سيطرة الإنسان على سلوكه في تهذيب الأخلاق وتحصيل الفضائل لأنّ " **شعائر الدّين بين أهل الصين هي شعائر الطريق أو شعائر السلوك وفرائض التهذيب أو التثقيف**"[١] .ما يؤكّد لدينا الاعتقاد بأنّ اهتمام كونفوشيوس كان موصولا بالسّلوك الشّخصي ،والواجب الاجتماعي كأحد أهمّ المشكلات الأخلاقيّة التي تواجه الإنسان لا البحث في متافيزيقا الأخلاق و مبادئ الإرادة خالصة ذلك أنّ كونفوشيوس يعد أنّ "**خدمة الإله يصبح عملا لا معنى له إذا أهملت خدمة النّاس** "[٢]. ولعلّه لهذا السبب لم تهتمّ الكنفوشيوسيّة بالعالم الآخر والقضايا الميتافيزيقيّة إلاّ مع التّاوية وهي الدّيانة التي أسّسها "**لاوتسو** "(ق ٦ ق م)حين بدأ الاعتقاد بوجود علاقة مع كائن عظيم غير مشخّص هو الله وجعل من "**التاو** " ويقصد به الأخلاق البشريّة والمنهج أو الطّريق الصّحيح الذي يمكّن الإنسان من السّير في طريق السّماء وتحقيق السّكينة والطمأنينة .....

من المفيد هنا التأكيد على أهميّة الأساس اللّاهوتي الأخلاقي الذي بنى عليه كونفوشيوس تعاليمه الدّينيّة لتوجيهه النّظر لمشكلات الإنسان الواقعيّة في أبعادها السّلوكيّة منها و الاجتماعية وفق نظام أخلاقيّ طبيعي محكم يفرض على الإنسان السّعي المتواصل لتحقيق الفضائل، وهو الوجه الحقيقي عنده للخلاص البشري من آثار الخطيئة قبل الحديث عن الخلاص بعد الموت لأنّ به تستقيم الطّبيعة الإنسانيّة و تتحدّد به سلامة الحياة الاجتماعيّة

٥،الألوهيّة وميثولوجيا الخلاص في بلاد الرّافدين

إنّ جملة السّياقات التأويليّة في فهم العقائد الدّينيّة دون اعتبار مباشرتها للوحي الإلهي تنبّهنا إلى حقيقة الاعتراف بأنّ المدخل الأساسي في دراسة أي معتقد ديني إنّما ينطلق من الكشف عن رؤية هذه التّصوّرات لعالم الألوهيّة وخاصّة قصة خلق العالم ومصيره، وما يحمل عليه وجود الإنسان من دلالات الخطيئة، أي خطيئة النفس في عالم ما قبل المادة، وآثاره المترتّبة عن ذلك في علاقة الإنسان بعالم الآلهة ومقدّساتها.

ولم تكن بلاد الرّافدين استثناء دينيّا في الاهتمام بحكايات الآلهة ورسم عوالمها الميثيولوجية لتفسير بدايات الكون ونهاياته نظير ديانات الشرق القديم. إذ تصوّر بعض الأساطير وخاصة "**ملحمة جلجامش**"[٣] قصة الخلق الأولى على أساس غائيّ. ذلك أنّ الآلهة احتاجت لوجود

---

(١) العقّاد عباس محمود : الله ، ص ٨٧

(٢) جفري بارندر : مصدر سابق ، ص ٢٨٨

(٣) **ملحمة جلجامش** : هي ملحمة تروي قصّة بطل قومي " جلجامش " الذي استطاع النّجاة في سفينته بحثا عن الخلود . وتصوّر هذه الملحمة الطوفان على أنّه عقاب أنزلته الآلهة أنليل بالبشر. كما تروي قصّة نزول

الإنسان حتى يساعدها في أعمالها على نحو ما أشارت إليه بعض المقاطع من سفر التكوين وخاصّة في جانب إضفائها للصفات الإنسانية على الإله المحتاج دوما لوجود الإنسان. غير أنّه سريعا ما يخسر الخلود ويقع في الخطيئة بفعل الشهوة التي حملتها معها حواء " **إذ أخذ الرّب الإله آدم ووضعه في جنّة عدن ليعملها ويحفظها** "(١) . إلاّ أنّ هذا الإنسان السّعيد سريعا ما يقع في الخطيئة "**فتمرّد على قسمة الموت وطمع إلى خلود كخلود الأرباب فبحث عن ثمرة البقاء في السماء...إلاّ أنّ إلها ماكرا خدعه واستبدل تلك الثمرة بثمرة الفناء...**"(٢) تماما كما صوّرت لنا ملحمة جلجامش قصّة خلق " أنكيدو" وهو على ما هو عليه " **صورة عن الإنسان الأوّل الذي خلقه من طين وعاش في الطبيعة حياة حرّة طليقة قبل أن يلتقي بالمرأة التي نقلته بعد الفعل الجنسي من حياة البداءة والحريّة الحيوانيّة المفرغة من المضمون إلى حياة الجماعة والحريّة ذات المضمون ، ووجدنا في آدم الأوّل تكرارا لأنكيدو ... كما تشكّل العلاقة مع المرأة في كلا القصّتين نوعا من طقوس العبور أو الطقس الادخالي الذي نقلهما من السّذاجة الأولى إلى المعرفة** "(٣). ولاشكّ أنّ هذه المعرفة هي التي مكّنت بالنّهاية جلجامش من ادراك حقيقة وجوده في الأرض وقدرته على تغيير الواقع الاجتماعي بعد فشله في الالتحاق بعالم الآلهة.

كما تكشف لنا أسطورة الطّوفان الذي غمر الدّنيا بسبب استمرار شرور الإنسان أنّ أحد الصالحين وهو" جلجامش" استطاع عبور نهر الموت في سفينته بفضل صلاحه بعد ما منحته الآلهة الخلود. غير أنّه من المفيد ملاحظة مدى التّشابه بين هذه الأسطورة وما ورد في سفر التكوين عن قصّة نوح التوراتيّة خاصّة في جانب من جوانب هذا التفسير الغائي للمحنة. إذ بفعل الخطيئة غضب الإله وأنزل عقابه بالبشر لتمرّدهم على إرادته. وهو ما أكّده فراس السّواح في كتابيه "قراءة في ملحمة جلجامش" و "مغامرة العقل الأولى" حين قارن بين الطوفان السّومري والبابلي والتوراتي وانتهى إلى ثبات مدى استلهام كتبة العهد القديم لتفاصيل كثيرة من قصص الخليقة عن الأساطير القديمة والتي ترى أنّ الإنسان ".... **أذنب وارتكب الخطايا بإرادته الحرّة فأرسل عليه طوفانا عظيما عقابا له فاهلك الناس كلهم ولم ينجو منهم إلا رجلا واحد...**"(٤) .

هذا البطل إلى العالم السّفلي ليلتقي بالرّجل الصّالح الذي منحته الآلهة الخلود " أوتنبشتيم " ..أنظر مقار (شفيق) : قراءة سياسيّة للتوراة لشفيق مقار ،رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، ص ٢٩٥

أنظر أيضا السوّاح (فراس) : ، قراءة في ملحمة جلجامش، سومر للدّراسات ولنشر والتوزيع ، ط١ ،١٩٨٧م س ، ص ٤٧ اذ أكّد أنّ الملحمة هي النّصّ الأخير الذي عثر عليه في نينوى ضمن أنقاض مكتبة الملك آشور بانيبال (ت ٦٢٦ ق م) وهو نصّ يعزى إلى كاهن بابلي عاش حوالي ١١٠٠ ق م

(١) سفر التكوين : ٢ : ١٥

(٢) العقاد (عباس محمود): الله ، ن م ، ص١١٧

(٣) سوّاح (سوّاح) : قراءة في ملحمة جلجامش، ص ص ٢٩٠ ،٢٩١

(٤) دورانت (ويل): قصة الحضارة ، ج ٢ ، ص٣١

وفـــي هذه الملحمة يغضب الإله "**أنليل** "لنجاة جلجامش والرجل الصّالح من الدّمار ، ثم تقنعه الآلهة أن تهبه الخلود بعقد ميثاق معه يذكّرنا بميثاق العهد التوراتي بين يهوه و إسرائيل أو ما سمّاه عالم السومريّات صموئيل كريمر (١٨٩٧ ،١٩٩٠ م) "**بالزّواج المقدّس**" في كتابه ""**إينانا وديموزي:** طقوس الجنس المقدّس عند السّومريين" و "الذي شابه فيه بين ما ورد في أسفار النبوّة حول صلة الزوجيّة بين يهوه ومعشوقته إسرائيل ، وبين الزواج المقدّس بين يهوه والإلهة "**عشتارت**" ، على أنّ الأرواح الشريرة ملازمة دوما لأيّ وجود إنساني وهي التي توقع الشرّ والخطايا به، لذلك وضع البابليون " **بما لديهم من ولع بالنّظام قوائم بجميع أنواع الظواهر الملاحظة بما في ذلك الأخطاء التي يستوجب فيما يبدو القصاص الإلهي في صورة المرض أو الاضطراب بل حتى الموت**"[١]. كما تسجل إلى جانب ذلك جملة الأفعال الحسنة كالابتعاد عن أكل ما حرمته الآلهة وعدم الاتهام بالباطل والحكم الظالم والتحقير والسخريّة من الآلهة....

وعلى هذا الأساس كان اهتمام الكهّان شديدا بعمليات التطهير وكيفيات غفران الذنوب وطقوس الصّلاة للتخلّص من الأرواح الشريرة وذلك " **بالمسح بالزيت** "[٢] ، وتلاوة التعاويذ ،والرقى، والطلاسم .وتعتبر تراتيل التوبة والصلاة أو التفجيع والنواح من أكثر الوسائل المستعملة لتهدئة الآلهة الغاضبة. وحتى يتمكن الإنسان من التحرر من هذه الذنوب والخطايا لا بد من تقديم "**قربان التكفير الذي فيه الحمل مكانا الإنسان**" [٣] على نحو بعض الطقوس الموجودة عند الشعوب البدائية لنيل رضا القوى المسيطرة على الكون.

كما تنقل لنا عديد الترانيم السّومريّة و البابلية مناجاة بعض المذنبين لشعورهم بالذنب والخطيئة ، ومن الترانيم ترنيمة نقلها ويل دورانت في كتابه "قصة الحضارة". يقول فيها المذنب "**ربي إنّ ذنوبي عظيمة وأفعالي السيّئة كثيرة إنّي أرزح تحت أثقال العذاب ولم يعد في وسعي أن أرفع رأسي ، إنّي أتوجّه إلى إلهي الرّحيم، أناديه وأنا أتوجه وأتألم ربّي لا تردّ عنك خادمك** "[٤] .

ولاشكّ أنّ هذه الترنيمات تشكل في اغلبها عند الباحثين موضوعات أساسيّة للأدب الدّيني ، تظهر مثلا في المرثيات البابلية التي يفيض منها شعور بالتّذلّل والرّغبة في التوبة والتوق لنيل رضا الآلهة والخلاص من مرض الخطيئة " **ذلك أنّ الخطيئة لم تكن مجرّد حالة معنويّة من حالات النفس . بل كانت كالمرض ينشأ من سيطرة الشيطان على الجسم في مقدوره أن يهلكه**"[٥].

---

(١) بارندر (جفري) : المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب القديمة ، ص٣٤

(٢) **المسح بالزيت** : يبدو أنّ عملية المسح المستعملة في الكنائس المسيحية مستلهمة من الشعائر والطقوس التعبدية القديمة عند البابليين والسّومريّين ، أنظر معجم اللاّهوت الكتابي : دار المشرق ، ط ٢ ، ص ٧٣٤

(٣) بارندر (جفري): المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب القديمة ، ص ٣٥

(٤) ورانت (ويل): قصة الحضارة ،ج ٢ / ص٢٢٦

(٥) دورانت(ويل) : مصدر سابق ، ن ص

يمكن القول إذن الميثولوجيا في بلاد الرّافدين وباعتبارها حدثا دينيّا مرويّا عن حكايات الآلهة أو الكائنات الإلهيّة تنفكّ عن البحث عن تفسيرات لما حدث ويحدث في العالم المقدّس عالم الآلهة، وأنّ اهتمامها بالبحث في أصل الشر في العالم، وكثرة الخطايا والذنوب، و كيفيات التّطهير والتكفير عنها كان غايته إيجاد تفسيرات لما يلحق الانسان بفعل حب الآلهة أو غضبها منه . ولعلّ هذا ما دفع البابليين لوضع أساس واقعي تنتظم به حياة البشر حتى يكونوا اكثر انسجاما مع عالم الآلهة ظهرت بداية في قوانين "لبيط عشتار" وقوانين "أورنمو السّومريّة" وخاصّة القوانين المعروفة "**بشريعة حمورابي**"(١) بصيغتها القانونيّة الدنيويّة لا الدّينيّة التي أعلن فيها حمورابي " **الحرب على الشر المتمثل في تلك المحاولات المناهضة للنّظام القائم**"(٢) في المجتمع والدّولة .إذ لا فاصل بينهما عند حمورابي لأنّ كلاهما قائم على أساس من السلوك الأخلاقي الإنساني المبني على التّشريع الجزائي والذي يحدّد جملة العقوبات التي تفرضها تلك التشريعات وهو ما يخرج الخطيئة من دلالاتها الدينية الصّرفة التي تتحكّم فيه الآلهة إلى نطاق المعاملات الدّنيوية بين البشر وفق ما عرفته الفلسفات والدّيانات الشرقيّة في بلاد فارس والهند خاصّة.

٦، الثالوث المقدّس في مصر الفرعونيةّ واسكاتولوجيا القيامة الفرديّة

تعد الديانة الفرعونية في مصر من أعرق الأديان في الشرق القديم لتميّزها بتعدّد الآلهة من جهة ولقيامها على الأساطير القديمة التي تتّصل بعالم الآلهة من جهة أخرى، والتي تجمع في أغلبها على هيئة ثالوث مقدّس يربط في وحدة بين الإله المحلّي الرّئيس و زوجته وابنه فقد "**استمدّ المصري القديم معتقداته الدّينيّة من واقع بيئته وكان يرمز لأفراد أسرته بهذه المعتقدات فكانت عبادة الثّالوث رمزا للأسرة تتكوّن من الزوج والزّوجة والابن** "(٣) يذكّرنا بالثالوث الاقنومي المقدّس الذي يجمع في الدّيانة المسيحيّة بين الآب و الابن و روح القدس وإن كان ليس في وسعنا البحث هنا عن جذور الاعتقاد بالتثليث المسيحي ممّا يجاوز حدود هذا المقال .

من المهمّ الإشارة إلى العناصر الطبيعيّة التي توجه الاعتقاد الدّيني عند المصريّين. إذ غالبا ما يستلهمون صور هذا الثّالوث من الظّواهر الطّبيعية، فيتّخذ في بعض الأحيان إمّا أشكالا إنسانية أو حيوانية أو قد يجمع بينهما في صورة واحدة لجسم إنساني ورأس حيواني. كما هيمنت

---

(١) **شريعة حمورابي** : جاء في هذا القانون في أحد النّقوش " أنا حمورابي الأمير الأعلى ، عابد اللآلهة لكي أنشر العدالة في العالم ، وأقضي على الأشرار و الآدميّين ، وأمنع الأقوياء أن يظلموا الضعفاء ...وأنشر النّور في الأرض ، وأرعى مصالح الخلق ، أنظر دورانت (ويل) : م س، ج٢ /ص١٩٥

(٢)، بول فريشاور(بول) : الجنس في العالم القديم ، ص ٨٠

(٣) عبد المنصف ناصف (هبة) :الثّالوث في مصر القديمة حتّى نهاية الدّولة الحديثة ، ماجستير في الآداب ، قسم الآثار ، كليّة الآداب طنطا ، ٢٠٠٠ ، ص ١٩٣

على المصريين "**فكرة السفر الطويل الذي يتحتم على ال "كا"**[١] **القيام به بعد الموت**[٢]. وتمثّل الـ "**كا**" روح كل كائن ومحتوى الحياة الرّوحية للرّجال والنّساء كافة وهي التي تخضع بحسب أعمالها لقانون الحساب بعد مثولها أمام "**محكمة أزوريس**" إله القضاء.

هكذا تبدو فكرة الحساب والمصير بعد الموت فكرة متأصّلة في دائرة الوعي الدّيني الشّرقي عامّة والفرعوني خاصة وهوما يؤكّد لدينا الاعتقاد بأنّ التّصوّرات الدّينيّة نشأت في بداياتها الأولى حين أدرك الإنسان فكرة الموت أو نهاية الحياة تماما كما أدرك جلجامش معنى الحياة بعد رجوعه من العالم السّفلي ،عالم الموتى ، ونكتفي بالإشارة هنا إلى أنّ أغلب المادّة الدّينيّة الفرعونيّة مثلا تحمل في مجملها دلالات جنائزية نتتبّع ملامحها بوضوح من خلال بقايا المقابر والأهرامات والمومياء والتّوابيت والبرديّات التي تنقل لنا متونها تصوّراتهم عن الحياة الأخرى ووعود الآلهة بالخلاص والنّعيم الأبدي، ولعلّ ذلك ما جعل الفراعنة يهتمّون بطقوس إعداد الموتى حيث "**أحيطت جثث الموتى بعناية خاصة فدفنت وفقا للمراسم ووضعت على مقربة منها في المدافن الأدوات البيتيّة أو الصّور والنّصوص الرّمزيّة**" [٣] .

كما كان الهدف من عمليات التحنيط هو أن تخلّد الـ "**كا**" وتتحقّق لها الحياة المطلقة وتخلص من التحديد الزّمني في عالم المادة والأشياء في هذه الحياة إذ "**سيتهدّد الـ "كا" تصاعد للشّر غير مرئي وشياطين من كل نوع**"[٤] حـتى تمثل أمام محكمة أزوريس روح هذه الحياة لأنّه يمثّل إله الموت والعود الأبدي .

ويعد " **كتاب الموتى**"[٥] والذي ترجمه المستشرق البريطاني والاس بدج (١٨٧٥م ،١٩٣٤ م) وهو مجموعة من المنتخبات التي تزوّد الميت بكل ما يحتاج إليه للتغلّب على المكايد الكثيرة أهمّ وثيقة تاريخية لدراسة ديانات الشرق القديم. كما تصوّر لنا الميثولوجيا المصريّة تفاصيل كثيرة عن حساب الموتى ،ومشاهد عمّا يجري في هذه المحكمة اذ ينتصب أزوريس رئيس الهيئة الحاكمة، وينتظر وحشا غريب الخلقة يسلّم المحكوم عليه أمام أزوريس الذي " **يضع قلب الميت وريشة ماهات في كفتي ميزان كبير حيث يجب أن يتعادلا للحصول على النعمة المرجوة**" [٦] . وهو ما يؤكّد الاعتقاد الغالب عند الباحثين أنّه " **لا يوجد في الدّيانة المصريّة**

---

(١) كـــا : وهو الإله الذي تشير أساطير الفراعنة إلى اتحاده بالإله أزوريس فيما نقش على الآثار المصرية بالكتابة الهيروغليفية ، أنظر فريشاور (بول) : الجنس في العالم ، ص١٤٠

(٢) فريشاور(بول) : الجنس في العالم ، ن م ، ص١٣٧

(٣) كروزيه (موريس): تاريخ الحضارات العام ، ١ / ص٩٩

(٤) فريشاور (بول) : الجنس في العالم ، ص ١٣٧

(٥) أنظر كتاب الموتى (بردية آين في المتحف البريطاني ١٨٩٥ م ، ترجمه إلى العربية ، د. فيليب عطية ، مكتبة مدبولي، ١٩٨٨

(٦) كروزيه (موريس): تاريخ الحضارات العام ، ١ / ص ١٠٤

فكرة عن القيامة العامّة ونهاية العالم "[١] أو النّهايات الاسكاتولوجيّة التي تنتهي بالاندماج في عالم الالوهيّة.

إنّ شعائر العبور في هذه الطّقوس الجنائزيّة تشكّل أهميّة كبرى في حياة الفرد، كما تكشف لنا حقيقة هذا القانون العادل للجزاء الأخروي الذي آمن به المصريون حتّى يصلوا بين أعمال الإنسان السّابقة في الدّنيا وقداسة الحياة الأخرى. اذ يعترف الميت أمام ٤٢ قاضيا منكرا ارتكاب ٤٢ خطيئة يعدّدها واحدة واحدة، ويعلن الميت انه طاهر مبرأ من كل إثم، حينها يستقبله أوزيريس الإله العظيم وسيّد القضاء ليواجهه بميزان القلب اذ يضع في كفّة قلب المتوفّي وفي الكفّة الأخرى الإلهة "ماعت " ربة الحقيقة كما تزخر بمشاهده رسوم أثريّة كثيرة. فإذا "**استطاعت فضائله إحداث توازن مع كفّة الحقيقة فسوف يصدر الحكم لصالحه بالسّعادة الأبديّة والاّ فهناك وحش يسمّى ملتهم الموتى يقف منتظرا القضاء على الشخص المدان**"[٢] . أمّا إذا ما تمّت له البراءة يوم الحساب فهذا يعني أنه ضمن الخلود.

لقد أكّد كثير من الباحثين في مجال المصريّات مركزيّة فكرة الخلود التي ضلّت تسيطر منذ آلاف السنين على التّصوّر الاسكاتولوجي لنهاية العالم عند المصريين، غير أنّهم أضفوا عليها جوانب ماديّة تعد بحياة مستقبليّة شبيهة بالحياة الدّنيا. وبهذا الخلود يتحقق توحّد شخصية الميت مع الإله أزوريس لضمان تبرئته النّهائيّة يوم الحساب. فهل يمكن اعتبار ذلك نوعا من الاقتراب من فكرة غفران الذنوب واعلانات التوبة التي أصبحت مدارا عقديا في الدّيانات التوحيديّة اللاّحقة؟

للإجابة عن هذا التّساؤل يمكننا الاستناد إلى ما خلص إليه عالم المصريات "والاس بدج " (١٨٥٧ م ،١٩٣٤م)في "كتابه آلهة المصريين" الذي أثبت أنّه على الرّغم من أنّ الدّين المصري يضمّ عقائد وتيّارات كثيرة متعارضة في داخله ومن المستحيل التوفيق بينها إلاّ أنّها تقوم على تصوّر اسكاتولوجي واحد يقضي بأنّ "**هناك حياة ماديّة بعد الموت وأنّ الطّقوس الحياة الدّنيا ماهي إلاّ سبيل إلى ضمان هذه الحياة. ويري بيدج أنّ أساس هذه المعتقدات كان من خلال عبادة أوزريس ظلّت إلى نهاية الدّين المصري، أساس هذا الدّين، وبقيت تمنح النّاس الخلود فيما بعد الموت ، وتعطي الإحساس بالخصب أثناء الحياة** " [٣]. وإذا ما أضفنا العناصر الطبيعيّة الإيجابية التي ضمّنها المصريون لميثيولوجيا صراع أوزيريس إله النيل ورب الخصوبة والإنبات مع أخيه "ست" إلاه القحط والجدب والشّر حين غدر به فأحرقه في تابوت وقطع أطرافه ودخل بذلك للعالم السفلي لينقذ الخطّائين وليخلّص الموتى من الشّرور الدّنيويّة. ثبت لدينا أنّ

---

(١) سواح (فراس) :الله والكون والانسان ، ص٩٥

(٢) بارندر (جفري): المعتقدات الدّينيّة لدى الشّعوب القديمة ، ن م ، ص٥٨

(٣) الماجدي خزعل : علم الأديان ،ص ٣٤٤

أنظر أيضا لبدج (والاس) :آلهة المصريين، ت محمد حسين يونس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٨م

فكرة المخلّص والمنقذ لم تكن غائبة عن العقائد المصريّة، إذ اعتبر أوزريس بذاته مخلّص النّاس ،ودافع الخطايا والآثام ،ومحقّق العدل للموتى في العالم السّفلي، لكن شرط أن يتسلّح الموتى مع ذلك بصيغ من التمائم والرّقي التي" **تخلصهم من كثير من الذنوب وتضمن للشيطان نفسه دخول الجنة**"(١) . واستعدادا لهذا اللّقاء الاحتفالي يتمّ الاحتفاظ بعناية بجسد الميّت بطريقة متقنة في التحنيط وتجهيز المومياء للحياة الأخرى ظلّت إلى اليوم من أهمّ أسرار الحضارة الفرعونيّة .

وعليه فانّ فكرة الحساب وموازين الفعل البشري في نطاق عدالة الإله أوزريس وتنزيهه عن ظلم الإنسان وإيتائه حق جزاءه بعد الموت يقترن بما قام به الإنسان من أفعال في الحياة الدنيا. أي أنّ تراوح الفعل البشري بين حدّي الخير والشّر يستبقه الاعتقاد بتحقّق ثنائيّة أخرى هي الخطيئة والخلاص وما يقتضيه من ثواب أو عقاب ينسب في المعتقد الفرعوني إلى الإله "**أزوريس**" المخــلص للنفس البشرية من خطاياها بمقتضى الألوهية من عدالة مطلقة لا يرتقي إلى حدّها الإنسان بما هو كائن يتردّى في الخطايا ولكنّه في سعي دائب للخلاص ولذلك كان المصري "**يعهد طوال حياته في الامتناع عن القيام بأيّ عمل محظور يقف حائلا دون تمتع الـ"كا" بالخلود**"(٢) باعتباره المرحلة التي تلي عالم الخطايا وهو من سمات الآلهة ومقتضيات عبادتها إلا انه لا يتحقق للذوات المخلوقة إلاّ بمقتضى الحساب فيما بعد الموت.

٧ ،الألوهيّة في التمثّلات الأسطوريّة والمجازات الفلسفيّة القديمة

أ ،الألوهيّة والعقائد الأخرويّة عند اليـــــــــونان

لا تختلف المعتقدات الإغريقية عما راهنها من التّصورات الاعتقادية المجاورة أو تلك التي سبقتها زمنيا في نطاق الحضارات الشّرقيّة القديمة فيما أسّسته عقائدهم من عوالم سحريّة تحمل على المجاز والتخيّل الأسطوري في التّسليم بمعرفة أصل الكون ومصيره من ناحية البعد الأنطولوجي لأيّ معتقد ديني.

ومن جهة أخرى تباينت جملة المسالك العقدية في الحضارة اليونانية عن غيرها من العائلات الدّينية الأخرى بتأسيس المعرفة الدّينية على تساؤلات فلسفية نفذت بواسطتها المعتقدات اليونانية إلى معرفة العلل الأولى للكون، وحملها على مجازات " عالم المثل" أو العقل الفعّال في إطلاقه. فكيف تمتزج المعتقدات باعتبارها تسليما بالمعرفة الفلسفيّة باعتبارها تساؤلا لا يعترف بحدّ قاطع للحقيقة؟

لقد ارتبط جانب كبير من الديانة اليونانية بالقداسة و "التطهير" من الدنس الذي كان يعد جريمة بشعة (مأساة أوديب نموذجا) وكان اليونانيون يعتمدون أساليب كثيرة للتّكفير عن الخطايا والتّطهير من الذنوب كالتضحية بخنزير، أو كلب، أو ديك، أو الاغتسال في ماء البحر. ويعد "**كبش الفداء صورة من صور التّطهّر، ففي أثينا وفي غيرها من المدن اليونانيّة في عيد**

---

(١) دورنت (ويل): قصة الحضارة ، ٢ج / ص١٦٥

(٢) ب فريشاور (بول) : الجنس في العالم ، ص ١١٨

ترجيليا (عيد الحصاد) **وهو عيد الإله "أبوللو" تلـقى خطايا الجماعة على عاتق فرد واحد سـمي فارماكوس(العقار أو الدّواء الشّافي) ثم يطرد من المدينة"**[١] .

وقد يقدّمون ضحايا بشرية كتكفير جماعي عن خطايا بعض المدن التي صيبها القحط أو المرض وعادة ما تكون من ضحايا الفقراء فيلقوا بجثثهم من فوق صخرة ويدعون من حولهم أن يكفروا بعقابهم عن سيئات المواطنين وهكذا "**عرف اليونان الروح وعرفوا تناسخ الأرواح وعرفوا أدوار التطهير والتكفير**" [٢] التي يقوم بها الكاهن بالاعتماد على العزائم والطلاسم والرقي والسحر وطقوس العبادة لتخليص الإنسان من الأثر" **التيتاني** "[٣] أي الجسد ،المدنّس.

ولم تكن "**التوبة ضرورة محتومة في مثل هذه الأحوال بل كل ما كان يحتاجه المتطهر هو أن يتخلص من الشيطان الشرير الذي تقمّصه**"[٤]، وهي تشكّل في مجملها عالما رمزيّا من الممارسات **الليتورجية ((liturgy** أي شعائريّة وطقسيّة لها دلالات عميقة مصاحبة للمعتقدات والأساطير الشعبيّة . كما عرف اليونانيون عقيدة البعث إذا تلخّص أسطورة قتل الإله "ديونيس" من طرف التيتان وهم الجبابرة أساس الاعتقاد بعذاب الابن المقدس "**دينونيس** " وموته وبعثه. كما مثلت أصلا للاعتقاد بفكرة الثواب والعقاب في حياة أخرى والتي تعتبر استلهاما مبكرا لبعض المفاهيم الدّينية التي مثلت أساسا عقائديا في الدّيانة المسيحية ومن أهمّها عقيدة الخطيئة والخلاص. ذلك "**كانت البشرية كلها ملوثة بشيء من الخطيئة الأولى وكان عقابها على هذه الخطيئة أن الرّوح سجنت في الجسم**" [٥] . ويمكن اختزال هذا البناء العقائدي للفكر اليوناني في ملحظين اثنين:

أوّلا : الإقرار بفكرة الخلاص المتمثّلة في القرابين من الآدميين لخلاص الجماعة الوثنيّة

ثانيا : الإقرار بخلاص الرّوح من الجسد ومنه انقسام العالم إلى عالم المثل وعالم المادة .

يبدو أنّه على هذا الأساس الاعتقادي انبنت ثنائية الجسد والروح في التّصوّرات المثالية في دائرة الفلسفة اليونانية فقد ميّز أفلاطون (٤٢٧ ق م،٣٤٧ق م) بين عالم المثل على أنّه عالم الحقائق الخالدة والصّور الثّابتة وعالم المادّة على أنّه عالم المحسوسات .وكما أنّ العالم قابل للفناء كذلك الجسد الذي يدركه هو أيضا قابل للفناء ،في حين أنّ الرّوح التي ترتقي في إدراكها لعالم المثل الخالدة تكون بدورها خالدة غير فانية.

---

(١) بارنر(جفري) : المعتقدات الدينيّة لدى الشّعوب القديمة ، ص ٧٢

(٢) العقاد (عباس محمود) : الله ، ص ١١١

(٣) **التيتانيـــــــــة:** هي رؤية فلسفية دينية تنبني على إفراغ الجسد من قيمته الوجودية وحمل القداسة على النفس فحسب ونسبة الخطايا للجسد باعتباره رمز للخبث والدنس: أنظر دورات (ويل) : قصة الحضارة ج١/ ص٣١٦ بتصرف).

(٤) دورانت (ويل): المصدر نفسه ،ج ٦ / ص٣٥٥

(٥) دورانت (ويل): مصدر سابق ، ج ٦ / ص ٣٤٥

ومن ثمّة فإنّ النظر فـــي علاقة النفس بالبدن تفترض أيضا الإقرار بمـــا يتردّى فيه الجسد من شهوات توقعه في آثام الخطيئة . وليست النفس إلاّ نفسا سماوية تسعى إلى الخلاص من عالم الموجودات المحسوسة وبهذا الطرح فإنّ ثنائيّة الجسد والنفس تقابلها في المنظور الأفلاطوني ثنائية أخرى في السّياق الدّيني هي الخطيئة والخلاص. والظّاهر إلى هذا الحدّ أنّ الاشكال العقائدي في الّديانات الشّرقية القديمة لم تطرح باستناد إلى تمثّلات أسطورية فحسب. أليست الحضارة اليونانية علامة دالّة في التاريخ القديم على استحضار العقل والتّعليل الفلسفي لما يتّصل بحركة الإنسان وأفكاره حول نفسه والعالم. ولذلك فانّه ليس من الغريب تشبيه أفلاطون للذّات البشرية بعربة يقودها السّائق وهو رمز العقل وجوادان أحدهما رمز للحماسة وثانيهما علامة على الشهوة والحاجيات الحسّيّة ويتوقف هنا توازن الإنسان وخلاصه من الخطايا في دلالاتها الأخلاقية على حسن القيادة.

وعليه فإنّه من المنطق أن يكون الفلاسفة أقرب أفراد المجتمع لنطاق النفس في خلاصها من الجسد لانشغال الفيلسوف بقضايا نظرية تسمو به عن التفكير بما هو غريزي وهو ما يوقع غير الفلاسفة من الزرّاع والعبيد في دنس الخطيئة.

غير أنّه من المفيد لفت النظر إلى أنّ الفلسفة اليونانية ليست خطيّة بالمعنى المدرسي إذ تضمّنت بدورها تصوّرات لا تنكر جدوى الاشتغال بما هو مادّي والاهتمام بالمستويات العمليّة من حياة الإنسان لأنّه من غير الموجودات الخياليّة ،فهو كائن لا يكتمل وجوده إلاّ بالسّعي إلى الموازنة بين النفس والجسد أو الإقرار بإمكانية تعلّمه لأسباب الوقوع في الخطايا لاعتقاد أرسطو (٣٨٤،٣٢٢ق م) بوجود " **سلسلة من الموجودات تبدأ من المادة الخالصة التي لا يمكن أن نعرفها في القاع وتسير صعدا إلى الصورة الخالصة التي هي الله في القمّة، وهي سلسلة تمتدّ من الإمكان البحث أو الوجود بالفعل وينشغل الإله بتأمل ذاتي لا نهاية له** "[١] فهو لا ينشغل بالعالم ، لارتباطه بحدود الزمان والمكان وهي تقديرات لا تستوي إلاّ في الوعي الإنساني.

إنّنا ندرك بهذا الشّكل أنّ الفلسفة اليونانية لا تنكر وجود علاقة عضوية بين الجسد والنفس .غير أنّ مواقف الفلاسفة في شأن أفضليّة أحدهما تباينت بحسب الجذور النظريّة ورؤية الفيلسوف ذاته لكسموس العالم .هذا يعني أنّ الخطيئة والخلاص من المباحث التي امتزج فيها النظر عند اليونان بإمكانات الإنسان وقدراته في البحث عن أصل العالم ومكوناته. غير أنّه لا ينفصل عمّا ينسب للكهنة من تصورات يحمّلونها على الاعتقاد الديني الملزم . إذا كان الكهنة والمتنبّئون في أثينا بحسب أفلاطون يمنحون صكوك التوبة والغفران في حياة المذنب أو بعد وفاته مقابل مبلغ مالي نظير اعتراضات **لوثر**[٢] (١٤٨٣،١٥٤٦م) على تحريف الكنيسة عقيدة الغفران وكانوا

---

(١) برنارد (جفري) : المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص٧٧.

(٢) لقد أوضح لوثر فكره النقدي في ثلاث رسائل تسمّى "الرّسائل الثلاث العظمى " في حركة الإصلاح نشرها في ١٥٢٠ م لكن لم يكن هدفه إلغاء الكنيسة أو إنشاء كنيسة جديدة بدليل استبقائه على سرّين من أسرار

يدخلون في روع الناس "**أنهم قد وهبوا القدرة على أن يكفّروا لهم خطاياهم أو خطايا آبائهم بضروب من التضحية والرقي...يمارسون منها طقوسهم ويقنعون الأفراد أن "التوبة من الذنوب والتكفير عنها بتقديم القرابين والقيام بضروب التسلية (الاحتفالات) التي يشغلون بها ساعات الفراغ والتي يتقدّمون بها إلى الأحياء وإلى الموتى على السّواء وهم يسمون العمل الأخير (الاحتفالات) طقوسا خفية ويدعون أنها تنجينا من عذاب النار...**"[١]. وهكذا يظهر إلى هذا الحدّ أنّ الفلسفة الإغريقية لم تنكر المعتقدات الدّينية التي تنبني على محوريّة الاعتقاد في ثنائيّة الجسد أو الرّوح أو الخطيّة والخلاص وإنّما اختلفت مدارسها بين حدّي المثالية والمادية وهو ما سيؤثّر لاحقا في الدّيانة اليهوديّة و خاصّة المسيحيّة .

ب،الدّيانة الرومانيّة وثيوصـــــــــــــوفيا الخلاص

ارتبطت آلهة روما القديمة بعدّة وظائف كانت تكشف عن رغبة في التّوافق مع القوى الكامنة خلف الكون والمعنيّة بمشاغل الحياة الأساسية، وقد كانت هذه الآلهة قبل ذلك قوى روحيّة تسمّى "**مينا Mumina أي الأرواح وكانت هذه الأرواح في بعض الأحيان معنويّات مجرّدة كالصحّة أو الشباب أو الذّكرة أو الحظّ أو الشرف أو الأمل أو الخوف أو الفضيلة أو العفاف ... وكان منها أرواح للمرض يصعب استرضاؤها كالأطياف و أرواح الموتى ،ومنها أرواح فصول السّنة ،وآلهة أخرى تحيل إلى عناصر الطبيعة كالأشجار والماء والغابات والحيوانات المقدّسة .. وجملة القول أنّنا لا نعرف قطّ دينا يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه عند الرّومان ويقدّرها "غارو" بثلاثين ألف** "[٢].ومن أشهر هذه الآلهة "**فينوس**" التي كانت تمثل روح الحديقة قبل أن تصبح بنسبتها الأنثوية ربة الحبّ العظيمة كما عرف الرّومان عدّة آلهة أخرى كالإله "**جانوس**" اله الأبواب والإله "**فستا**" آلهة الموقد والإله "**هركيوليس**" اله النجاح في الشّؤون العملية والإله "**عطارد**" اله النّجاة، و" **أبللو**" اله الشفاء . وقد كان للصّلات التّجاريّة والحربيّة والثّقافيّة التي نشأت بين الحضارتين الرّومانيّة واليونانيّة أن تسرّبت بعض العبادات فتوحّدت بعض المعبودات مع آلهة اليونان على أساس أنّ أصلها واحد هو الآلهة الهندوآريّة فامتزج "كرونس" اليوناني "بزحل: و "بوسيدن" "بنبتون" و" ارتيميس" "بديانا" و"هرقل"" بهركول" كما لا يختلف "هرمس" عن "عطارد "و"جوبتير" عن "زيوس" [٣]. ولعلّ دراسة ماكس مولر (١٨٢٣م

الكنيسة وهما المعموديّة والأفخارستيا بل كان هدفه إصلاح أخلاق الكنيسة ودعوتها للعودة إلى إنجيل النعمة ممّا يعدّ مبحثا أساسيّا من مباحث اللاّهوت الأدبي أو الأخلاقي . أنظر بوعلي برهومي (مليكة) :المسألة الأخلاقيّة في الحوار الإسلامي المسيحي :، مجمع لأطرش للنشر والتوزيع، ط١ ، تونس،٢٠٢١

(١) دورانت (ويل): ن م ، ج ٦ ، ص ٣٤٧

(٢) دورانت (ويل) : قصّة الحضارة _ ج٥ ص١٢٥

(٣) أنظر قصّة الحضارة : ويل دورانت ج٩ ، ص ١٣٠، أنظر أيضا موسوعة تاريخ الأديان: اليونان وأوروبا قبل المسيحيّة : لفراس السّواح ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر،ج ٣ ، ط ٤ ، ٢٠١٧ اذ عددّ فيه

،١٩٠٠م) الفيلولوجيّة المقارنة للدّيانة الاغريقيّة والرّومانيّة قد كشفت بوضوح مدى التّوافق بينهما في الدّلالات التعبيريّة ، والرمزيّة عن العالم القدسي للآلهة المشتركة من خلال تقديم تفسير لغوي لمسمّياتها و تحليل وظائفها ،واثبت ما لهذه اللغة الرمزيّة من قوّة تأثير في تشكيل الوعي الدّيني لأي جماعة من الجماعات الدّينيّة . فهو يعتبرها لا فقط النواة الأولى في تشكّل الأساطير بل والسبب في نشأة الدّين. لقد كان إذا لهذا التمازج أثره البالغ في تطوّر العبادة الرومانيّة باتّجاهين:

أوّلا: تحويل الدّيانة من ديانة أسرار جلبت معها عدة طقوس كطقوس الموت ورقصة البعث وقراءة التّراتيل وتقديم القرابين إلى ديانة تعدّديّة روحيّة، إذ "**كانت مهمّة الدّين هي تأمين رضا الآلهة عن طريق تقديم القرابين وتأدية الطقوس وإقامة الاحتفالات المناسبة**"[١] لمقام الآلهة المقدس كسبا لعونها واسترضاءا لغضبها. وهي طقوس صارمة فرضها النّظام الكهنوتي كاحتفالات التضحية او احتفالات التطهير و النّذور .

ثانيا: التمهيد لظهور التّيّارات الباطنيّة كالغنوصيّة والهرمسيّة فضلا عن الفيثاغوريّة والأفلاطونيّة الحديثة "**التي تسلّقت روح الرّومان تدريجيّا لأنّها كانت تعد بالخلاص وقد هيّات الأرض للمسيحيّة الوافدة من الشرق** "[٢] لقبول العقائد التوحيديّة و" **هيّأت عقول الرّومان المتعلّمين على مهل لقبول عقائد التوحيد الرّواقيّة واليهوديّة والمسيحيّة** "[٣].

وبالرغم من كون الدّيانة الرّومانيّة كانت " **جافة وشكليّة، ولا تحتوي إلا على القليل من العناصر الروحيّة والخلقيّة، التي توحي بها كلمة دين ...التي توجب الطّاعة لقوى تفوق البشر**"[٤]. إلاّ أنّها لم تكن لتخرج عن القاعدة التي حكمت الوعي الدّيني الشرقي القديم والإغريقي من جهة انبنائها على التقابل بين حدّي ثنائية الجسد والرّوح وما يحمل على الخلود في عالم ما بعد الموت وهي الفكرة التي كانت سببا في نشأة الأديان عموما .

ولمثل هذا الاعتبار أحاط كهنة الرومان أرواح الموتى بهالة من التقديس لخلاصها من آثام الخطيئة في عالم الحياة الأولى، وكانت "**الأربابLARES تعبّر بصفة عامّة عن أرواح الأسلاف وكان المعيار الأخلاقي لروما هوMOS MAIORUM أي طريق الأسلاف**"[٥].وبذاك لم يختلف مسار الوعي الدّيني عند الرومان عن سياق المجازات الأسطورية

بتفصيل أسماء الآلهة الرومانيّة الرّئيسيّة ،وآلهة المدينة ،وآلهة العالم السفلي، والأبطال المؤلّهون عند الرّومان من الصفحة ٢٦٢ إلى ٢٩٣

(١) بارندر(جفري) : المصدر نفسه ، ص ٩٧

(٢) الماجدي (خزعل): علم الأديان ،ص ٦٦

(٣) دورانت (ويل) : م س ، ج٩ ،ص١٣٠

(٤) عبو عادل (نجم)و رشاد عبد المنعم (محمد) : اليونان : دراسة في التاريخ والحضارة ، جامعة الموصل ،العراق ،١٩٩٣

(٥) بارندر(جفري) : المصدر نفسه م ، ص ١٠٩

الشرقية في حمل الخطايا على ما يمكن أن تتردّى فيه النفس البشرية من شرور وأعمال دنيئة بما يبعد الإنسان عن العالم المقدّس الذي يشكّل النّظام النفسي و الاجتماعي للوعي الدّيني . .

غير أنّه من المهمّ التنبّه في هذا المستوى لما تختزنه هذه التصوّرات الدّينيّة من تراث روحي باطني يظهر في ممارساتها الرّوحيّة و تمثّلاتها الأسطوريّة وفق رؤية "**غنوصيّة** "[١] "**ثيوصوفية**"[٢] ترتكز على أسطورة الخلاص من الخطيئة ،وذلك من خلال المعرفة أو الحكمة التي تمكن النّفس من معرفة أصلها السّماوي ،ولطرق تخلّصها من المادة ،و تطهير الجسد لتلتحق بطريق العود الأبدي إلى الله والاتّحاد معه ، ولذلك سمّيت أديان حكمة إلهيّة، فقد اعتقد الغنوصيّون "**أنّ الخلاص يتحقّق بالمعرفة الخاصّة (gnosis))وآمنوا بإله مجهول وبعيد لكنّهم رأوا هذا العالم شرّيرا لم يخلقه الله بل خلقه إله أدنى منه يدعى الفاطر (demiurge)وهو يحكمه بالأرواح الشريرة ،كما يعلّم الغنوصيّون عموما أنّهم مختارون وعندهم شرارة قدسيّة سحبت في جسمهم المادّي لكنّها قادرة أن تتحرّر من خلال تلك المعرفة الخاصّة وهذه الشّرارة القدسيّة ستخلّصهم من العالم الشّرّير وتجعلهم يعبرون إلى الله الحقيقي** "[٣].وهو المعني الذي دفع بعض علماء الأديان للنّظر إلى الكثير من الأديان الشرقيّة القديمة كالسّومريّة والبابليّة و الهنديّة والصّينيّة كجذور أولى **للثيوصوفيا** اذ العوالم السّحريّة في مشهديّات قصص الخلق الأولى الذي يغمرها الجانب الكشفي الأسراري والمعارف الروحيّة الجامعة بين ثنائيات الخير والشّرّ و الخطيئة لما لها واقعيّا من تأثير في كيفيّات تمثّل أصحاب هذه الأديان لقيمهم الأخلاقيّة و طبيعة السّلوك الأخلاقي والذي يوجّه بالنّهاية نظرتها للمقدّس والإنسان والعالم وإن لم يحسم الخلاف في الدّراسات الدّينيّة المقارنة بين القائلين بأصالة التوحيد والإفراد فيها والقائلين بأسبقيّة التعدّد والوثنيّة .

---

(١) **الغنوصيّة** : مصطلح مشتق من الغنوص ، وهي كلمة يونانيّة الأصل معناها المعرفة أو العلم و الحكمة ... وهي طريقة نظر وفهم خاصّة للعالم والمعرفة والدّين . والغنوصيّة ظاهرة تمتدّ إلى أديان الشرق القديم . أمّا كجهاز معرفي، وكفلسفة ورؤية متكاملة فهي من نتاج العصر الهيلنستي وقد ظهرت قبل المسيحيّة وأثّرت في الديان السّماويّة .....بتصرف أنظر علم الأديان لخزعل الماجدي ، ص ٤٦١، ١٦٢، ٤٦٣

(٢) **الثيوصوفيا** : مصطلح ديني فلسفي يتكوّن من مقطعين هما (ثيو) بمعنى إله أو إلهي و (سوفوس) التي تعني الحكمة . وقد ظهر في جذوره الأولى كممارسات روحيّة في الشرق الأقصى القديم ، ظهر هذا المصطلح على يد أمونيوس ساكاس (ت ٢٤٥ م) في العصر الهلينستي وهو مؤسّس الأفلاطونيّة الحديثة ، الملقّب ب(تلميذ الآلهة) . وظل هذا التيّار حيا في الجمعيات الدينيّة والفلسفيّة السرّيّة حتي قامت الروحانيّة الأكرانيّة "هيلينا بتروفنا بلافاتسكي " (١٨٣١ م ، ١٨٩١ م) التي وضعت مبادئ الحكمة الأزليّة ... فالثيوصوفيا هي دين الحكمة الذي نسمّيه أيضا الفلسفة الباطنيّة .. أنظر بتصرف خزعل (الماجدي)علم الأديان ، ص٤٦٦ ، ٤٦٧

(٣) الأب مرقس (يوسف توما): الغنوصيّة أو التيّارات العرفانيّة في القرون المسيحيّة الأولى ،بغداد ، العراق ، ص ٩

وقد لا نخطئ الحقيقة إن قلنا أنّ هذا المجال القدسي هو الذي تتحدّد من خلاله رؤية المتديّن لما يتجلى له من حقائق عالمه المقدّس، والذي يبدو أنّ له تأثيرا كبيرا في توجيه حركة تاريخ أي جماعة من الجماعات الدّينيّة. ولذلك لم ينفلت الوعي الدّيني في ديانات الشرق القديم من مباشرة حدود هذا العالم المتعالي أو القدسي دون ملامسة عالم الحياة / العالم المدنّس والاقتراب من الصفات الإنسانيّة، وهو ما آلت إليه بعض التصوّرات الاعتقاديّة في بلاد الرّافدين أو مصر الفرعونيّة أو اليونان القديم أو الرّومان برغم الاختلاف بينها من رؤية تجسيميّة أنسنت عالم الآلهة وجعلته شبيها بعالم الإنسان في تردّده بين السعي للخير أو الشّر.

كما لا ينفي ذلك حقيقة اقتران بعض التصوّرات الدينيّة القديمة كالزرادشتيّة والبرهميّة بإثبات صفة التعالي الإلهي و اثبات ما للإنسان من قدرة على الارتقاء إلى مقام الألوهيّة بما يتحقّق له بقانون "الكارما "أو" النرفانا "من خلاص من خطايا الجسد. وسواء تعلّق الأمر بالآلهة الشبيهة بالإنسان أو الإنسان الشبيه بالإله فإنّ مقام الألوهيّة في هذه التصوّرات الدينيّة القديمة كان لها تأثير كبير في رسم عوالم البدايات الأولى للأزمنة ونهاياتها الاسكاتولوجيّة ،وبالتالي توجيه حياة البشر لتحقيق سبل النجاة والخلاص تحقيقا للسّعادة إن كان في الأرض أو في السّماء وهي المدارات الأكثر حضورا في كلّ الأديان على اختلاف مرجعيّاتها سماويّة كانت أو وضعيّة .لأنّ هاجسها البحث عن معنى لوجود الانسان و مسؤوليّته في الكون وهي الحقيقة التي أخبر عنها تعالى في أوّل حوار كونيّ مع الملائكة حين قال تعالى " **وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة** "(١)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- العهد القديم
- معجم اللاّهوت الكتابي
- اليـاد (مرسـيا) :تـاريخ المعتقـدات والأفكـار الدّينيّـة ،دار دمشـق ،سـوريا ،ط١ ،١٩٨٧م
- بارندر(جفري): المعتقدات الدينية الشرقية لدى الشعوب القديمة –سلسلة عالم المعرفة ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام : سلسلة عام المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،عـ١٩٩ـدد ،يوليو ،تموز ١٩٥٥م
- البلاذري (أبو الحسن) : فتوح البلدان ،دار الكتب العلميّة ،بيروت ،١٩٨٣م
- البيرونـي : الفلسـفة الهنديّـة ،مراجعـة عبـد الحلـيم محمـود وآخـرون ،المكتبـة العصـريّة ،بيروت ،دت
- البيروني (أبو الرّيحان) : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة : تأليف أحمد سعيد الدّمراداش ،د ط

(١) سورة البقرة :٢٩

- بوعلي برهومي (مليكة) :المسألة الأخلاقيّة في الحوار الإسلامي المسيحي :،مجمع لأطرش للنشر والتوزيع،ط١ ،تونس،٢٠٢١م
- الثعالبي (عبد العزيز): محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،لبنان ط ١٩٨٥،١م
- دورانت(ويل) :قصّة الحضارة،،دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع ،بيروت ،ج٣،الباب ١٤
- رودولف (أوتو) :فكرة القدسي ،دار المعارف الحكميّة،ط١ ،٢٠١٠
- السمحراني (أسعد): ترجمان الأديان ،دار النفائس ،ط١ ،بيروت ،لبنان ،٢٠٠٩
- السوّاح (فراس) : موسوعة تاريخ الأديان ،دار علاء الدّين ،ط١ ،٢٠٠٦
- السوّاح (فراس) موسوعة تاريخ الأديان : الشرق القديم ،دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ،سوريا ،ط٤ ،٢٠١٧م
- السوّاح (فراس) : الله والكون والإنسان في تاريخ الأفكار الدّينيّة ،دار التكوين ،سوريا ،ط١ –٢٠١٦م
- السوّاح (فراس) : قراءة في ملحمة جلجامش، سومر للدّراسات والنشر والتوزيع ،ط١ ،١٩٨٧م
- سواح (فراس) :الرّحمان والشيطان : الثنويّة الكونيّة ولاهوت التّاريخ في الدّيانات الشرقيّة ،التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ،ط ١ ،ص
- شلبي (رؤوف) : الأديان القديمة في الشرق مع ترجمة لكتاب البوذيّة ،دار الشّروق ،بيروت –ط١٩٨٠،١م
- شلبي (أحمد) : مقارنة الأديان ،مطبعة النّهضة المصريّة ،ط١٩٨٨،٢م
- الشهرستاني : الملل والنّحل ،تحقيق محمد سيد كيلاني ،بيروت، دار المعرفة ،بيروت ،١٩٨٢م
- ضياء الرحمان الأعظمي (محمد): دراسات في اليهوديّة والمسيحيّة وأديان الهند ، مكتبة الرشد، ط٢٠٠٣ م
- عبد العال (محمد جابر) : في العقائد والأديان : الدّيانات الكبرى المعاصرة ،الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنّشر ١٩٧١م
- عبد المحسن عبد الراضي (محمد): مشكلة التأليه في الفكر الهندي الدّيني ،دار الفيصل الثقافيّة ،ط ٢٠٠٢،١م
- عبد المنصف ناصف (هبة) :الثّالوث في مصر القديمة حتّى نهاية الدّولة الحديثة ،ماجستير في الآداب ،قسم الآثار ،كليّة الآداب طنطا ،٢٠٠٠م
- عبو عادل (نجم)و رشاد عبد المنعم (محمد) : اليونان : دراسة في التاريخ والحضارة ،جامعة الموصل ،العراق ،١٩٩٣م
- ،العقّاد (عباس محمود): الله :كتاب في نشأة العقيدة الإلهيّة ،منشورات المكتبة المصريّة ،دت

- فريشاور (بول) : الجنس في العالم القديم ،ترجمة فائق ممدوح ،دار الكندي،١٩٨٨م
- كارل (جوزيف) : حكمة الأديان الحيّة،ترجمة حسين الكيلاني ،منشورات دار مكتبة الحياة –دت
- كتاب الموتى (بردية آين في المتحف البريطاني ١٨٩٥ م ،ترجمه إلى العربية ،د. فيليب عطية ،مكتبة مدبولي،١٩٨٨
- كروزيه (موريس) : تاريخ الحضارات العام ،منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان ،ط١ ،د ت ،ج١
- كولر (جون) : الفكر الشرقي القديم : سلسلة عالم المعرفة ترجمة كامل يوسف حسين ،مراجعة د. إمام عبد الفتاح إمام : سلسلة عام المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب ،الكويت ،عـ١٩٩ـدد ،يوليو ،تموز ١٩٥٥
- لبدج (والاس) :آلهة المصريين،ت محمد حسين يونس ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،١٩٩٨م
- الماجدي(خزعل):علم الأديان :تاريخه مكوّناته مناهجه أعلامه حاضره مستقبله ،مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث ط١،٢٠١٦ م
- المسعودي : مروج الذّهب ،تحقيق محمد محي الدّين ،عبد الحميد ،دار الفكر ،بيروت ،ط٥ ،١٩٨٣م
- مقار (شفيق) : قراءة سياسيّة للتوراة لشفيق مقار ،رياض الريس للكتب والنشر ،لندن
- مودي(ج.ج.) :التعاليم الشفهيّة للدّيانة الزرادشتيّة ،بومباي ،د ط ،١٩٦٢م
- نجيب سعيد: أديان العالم الكبرى ،دار الشرق والغرب ،مطبعة النيل المسيحيّة ،دت
- David ،f/ford with Rachel Muers: Backwell Pubishing LTD 2005 : p777